الفصل والوصل في متشابه النظم القرآني
دراسة بلاغية تفسيرية

إعـداد

د. محمد رضا الحوري

الأستاذ المساعد في قسم أصول الدين
كلية الشريعة، جامعة اليرموك
(باحث رئيس)

د. منصور أبو زينة

الأستاذ المساعد في قسم أصول الدين
كلية الشريعة، جامعة اليرموك
(باحث مشارك)

الفصل والوصل في متشابه النظم القرآني
دراسة بلاغية تفسيرية

إعـداد

د. محمد رضا الحوري د. منصور أبو زينة

ملخص:

يتناول هذا البحث مظهرا من مظاهر الإعجاز البياني المتمثل في الكشف عن الأسرار البلاغية، واللطائف القرآنية التي أودعها الله كتابه الكريم مواضعَ الفصل والوصل في متشابه النظم القرآني، معتمدا على ما سطره المفسرون وأساطين البلاغة وعلماء المتشابه اللفظي في مصنفاتهم.

وقد تتبَّعَ البحثُ الآياتِ القرآنيةَ المتشابهةَ التي وردَ فيها الفصلُ والوصلُ، من خلال استقراء كتب المتشابه اللفظي، ودراسة ما فيها من تعليلات وتحليلات، وشَفْعِ ذلك بما ذكرَه أهلُ التفسير في تفاسيرهم.

وخَلَصَ هذا البحثُ إلى عدة نتائج، منها أنَّ السياقَ هو الركيزةُ الأساسية في الكشف عن أسرار الفصل والوصل في الآيات المتشابهة، ومنها أنَّ لموضوع الفصل والوصل أثراً في اختلاف العلماء في استنباط الأحكام الفقهية، ومنها أنَّ عِلَلَ الفصل والوصل في متشابه النظم القرآني تتزاحَمُ ولا تتعارض؛ وهذا مظهرٌ من مظاهر الإعجاز القرآني.

الكلمات المفتاحية: الفصل، النظم، القرآن.

Abstract

This search talked about one type of linguistic Koran wonders that discovers the Secrets rhetoric and al lataef of koranic that our allah put in his holy book(Koran)in the place of separation and hyphenation in the similar Koran text.we depended on what was written by explainers,great scientists of rhetoric, and scientists of identical linguistic in their classifications or their bookmakers.

Also in this search we followed up the similar Koran texts which include the separation and hyphenation through the induction and counting all printed books of identical pronunciation and studying of all explanations and analyses in addition to what mentioned by explainer in their explanation books.

Finally, we concluded many results from this search these were:

- The context was the main thing in discovering the secrets of separation and hyphenationin the similar Koran texts.
- The subject of separation and hyphenation had the main effect that lead to the differences in the scientists methods in extracting the jurisprudential rules.
- The reasons of separation and hyphenation in the similar Koran texts can be added but can't be in contradictory with each others so this one type of Koranic wonders.

Note: key words are:separation, Koran, alnathem(text).

المقدمــة

الحمد لله الذي أعزَّ العرب بالإسلام، وشـرّف لغـتهم بـالقرآن، وأيّـد رسـوله بناصع الحجة ورفيع البيان، والصّلاة والسّلام على من فتح بجوامع كلمه قلوبا غلفـا، وأسمع بسحر بيانه آذانا صمّا، وهدى بحكمته من كـان في ضـلال مـبين، وعلـى آلـه وصحبه الغرّ المحجلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد؛

فقد تميّز القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية بإعجـازه البلاغـي، وكانـت بلاغته من الوسائل المهمة لإبراز إعجازه وكشف مكامنـه والغـوص في بحـوره وبيـان دُرره الخفية التي يعجز البشر أن يأتوا بمثلها. من هنا كانت قضية الإعجاز البياني مـن أكثر القضايا التي استفرغت جهد العلماء وأوقاتهم.

وعلى الرغم من كثرة ما قام به العلماء من محـاولات جـادّة مخلصـة في دراسـة لغة القرآن الكريم من جوانب متعـددة كشـفا لأسـرارها، وسمـات تراكيبهـا وطـرق أدائها، إلا أن لغة القرآن لغة غنية بأفكارها ومعانيها وحكمها ومواعظها التي طويـت في ثنايا ألفاظها وتراكيبها.

ولا يزال القرآن الكريم يعطي كلَّ مقبل عليه بمقدار إقبالـه وقربـه، فكلمـا زاد القرب زاد العطاء حتى ولو كان ذلك في الموضوع نفسه. وهذا أمـرٌ لا يُتصـوَّر إلا في القرآن؛ فهو سرّ من أسراره.

ومن هنا جاء هـذا البحـث في محاولـة منـا للوقـوف علـى مظهـر مـن مظـاهر الإعجاز البياني في موضوع الفصل والوصل في الآيات المتشابهة في القرآن الكـريم في محاولة للكشف عن جماليات التعبير القرآني، وإبراز دقائقـه وأسـراره، وتنـوع معانيـه وثراء أفكاره.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من:

- أن موضوع الفصل والوصل من أدقِّ موضوعات علم البلاغة وأهمِّهما؛ وذلك لما يحتاجه دارسه إلى ذوق حسن، وبصيرة نافذة، وطبع سليم في إدراك أسراره.
- أن اختلاف طرائق التعبير في متشابه النظم القرآني أمر حريّ بالدراسة؛ نفيا للتكرار من جهة، وإبرازا لتنوع المعاني وثرائها من جهة أخرى.
- أن هذا اللون من الدراسة جمع بين علمين من العلوم المتصلة بالقرآن الكريم هما البلاغة والتفسير.
- أن لحروف العطف عامة، والواو خاصة دورا كبيرا في تنوع المعاني واختلافها.
- أن الدراسات التطبيقية لها أهمية كبيرة في تقريب مسائل العلوم وفهمها وإدراكها.

مشكلة البحث

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- هل يستوي ذكر الواو وحذفها في الآيات المتشابهة؟
- هل للقول بزيادة الحروف عموما والواو خصوصا نصيب من الحق؟
- ما سرُّ الاختلاف بين المواضع التي دخلتها الواو وبين المواضع التي خلت منها؟
- هل لقضية التكرار وجود في القرآن؟

منهجية البحث:

قامت الدراسة على منهجين:

الأول: المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع أمثلة الفصل والوصل في الآيات المتشابهة من خلال كتب المتشابه اللفظي المطبوعة، ثم قمت بترتيبها حسب ورودها في القرآن الكريم.

الثاني: المنهج التحليلي الاستنباطي، وذلك في محاولة للوصول إلى الفرق بين المواضع التي دخلتها الواو والمواضع التي خَلَتْ من الواو، بالاستعانة بدلالة السياق، وما سطّرته أقلام علماء البلاغة والتفسير والمتشابه في كتبهم.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن تكون في مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

المقدّمة: وفيه بيان لأهمية الدراسة ومشكلتها ومنهجيتها

المبحث الأول: تعريف الفصل والوصل، وبيان أهميتهما، وتحديد قواعدهما، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الفصل والوصل لغة واصطلاحا

المطلب الثاني: أهمية الفصل والوصل

المطلب الثالث: قواعد الفصل والوصل

المبحث الثاني: الأمثلة التطبيقية على الفصل والوصل في متشابه النظم الكريم

الخاتمة: وفيها عرض لأهم نتائج البحث.

واشتمل هذا المبحث على دراسة خمسة و عشرين موضعا من الآيات المختلفة بين الوصل والفصل في القرآن الكريم.

المبحث الأول: تعريف الفصل والوصل، وبيانُ أهميتهما، وتحديدُ قواعدهما، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: تعريف الفصل والوصل لغة واصطلاحا

أولا: الفصل والوصل لغة:

قال ابن فارس: الفاء والصاء واللام كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على تمييز الشَّيء. من الشَّيء وإبانته عنه. يقال: فَصَلْتُ الشَّيءَ فَصْلاً. والفَيْصل: الحاكم. والفَصِيل: ولدُ النَّاقةِ إذا افتُصِلَ عن أُمِّه. والمِفْصَل: اللِّسان، لأنَّ به تُفصَل الأمور وتمَيَّز. والمفاصل: مَفاصل العِظام. والمَفْصِل: ما بين الجبلَيْن، والجمع مَفاصل.[(١)].

ويلحظ أن هذه المادة (فصل) تدور على الانقطاع والتميز والتباين بين الشيئين بحيث لا يمكن الجمع بينهما.

وأما مادةُ (وَصَلَ)، فقد قال فيها ابنُ فارس: الواو والصاد واللام: أصلٌ واحد يدلُّ على ضمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حَتَّى يَعْلَقَه. ووَصَلْتُه به وَصْلاً. والوَصل: ضِدّ الهِجْران. ومَوْصِلُ البعير: ما بين عَجُزِه وفَخذه. والواصِلَة في الحديث: التي تَصِلُ شَعْرَها بشعرٍ آخَرَ زُوراً. ويقول وصَلْتُ الشّيء وصلاً، والموصول به وِصْلٌ بكسر الواو. وَمِنَ الْبَابِ الْوَصِيلَةُ: الْعِمَارَةُ وَالْخِصْبُ. لِأَنَّهَا تَصِلُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ[(٢)].

وتدور مادة (وصل) على الجمع والضم والترابط بين شيئين بينهما نوع التقاء وتقارب.

ثانيا: الفصل والوصل اصطلاحا:

الفصل والوصل: هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف، والتهدّي إلى كيفية إيقاع العطف في مواقعه، أو تركه عند عدم الحاجة إليه[(٣)].

وقيل: الفصل: هو قطع معنى عن معنى بأداة لغرض بلاغي. والوصل: هو ربط معنى بمعنى بأداة لغرض بلاغي[٤].

ويمكن القول:إن الوصل هو عطف جملة فأكثر على جملة أخرى بالواو خاصة لصلة بينهما في المبنى والمعنى أو دفعا للبس يمكن أن يحصل.

والفصل ترك العطف؛ إما لأن الجملتين متحدتان مبنى ومعنى، أو بمنزلة المتحدتين، وإما لأنه لا صلة بينهما في المبنى أو في المعنى[٥].

وإنما كان موضوع الفصل والوصل منحصرا في الواو خاصة[٦]؛ وذلك لأنه إنما يَعْرِضُ الإشكالُ في (الواو) دونَ غيرِها مِنْ حروفِ العطفِ، لأَن حروف العطف الأخرى تفيدُ مع الإشراكِ معائي، مثلَ أنَّ (الفاء) توجب الترتيب من غير تراخ، و(ثم) توجبُه مَع تراخٍ، و (أوْ) تردِّدُ الفعلَ بينَ شيئين وتجعلُهُ لأّحِدهما لا بِعَيْنِه، فإذا عطفتَ بواحدة منها الجملةَ على الجملةَ، ظهرتِ الفائدةُ.

وليس (للواو) معنى سوى الإشراكِ في الحكمِ الذي يَقْتَضيهِ الإعرابُ الذي أتبعتَ فيه الثانيَ الأولَ. فإذا قلت: "جاءني زيد وعمرو" لم تفد بالواو شيئاً أكثر من إشراك عمرو في المجيء الذي أثبتَّه لزيدٍ، والجمْعِ بينُه وبينَه، ولا يُتَصوَّرُ إشراكٌ بينَ شيئين حتَّى يكونَ هناك معنى يقعُ ذلك الإشراكُ فيه. وإذا كانَ ذلك كذلكَ، ولم يكن مَعَنا في قولنا: "زيد قائم وعمرو قاعدٌ" معنى تزعمُ أن "الواو" أشركتْ بَينَ هاتين الجملتين فيه، ثبت إشكال المسألة[٧].

المطلب الثاني: أهمية الفصل والوصل

عاش فنُّ الفصل والوصل في وجدان الناطق العربي، الذي احتاج أن يربط بين معنى ومعنى برابط، أو يقطع معنى عن معنى بقاطع، وهو في فصله ووصله

يهدف إلى تحقيق غاية جمالية يسمو إليها؛ لأنه يحرص على أداء فكرته في وضوح لا لبس فيه لتصل إلى المخاطب في جمال وجلاء.

والنصوص تشهد أن الحس العربي المصفى كان يتوقع الوصل حين لا يجد وصلا، ويبحث عن الفصل حين يفتقده، وكان يفاضل بين رابط ورابط حتى يستقيم الشكل مع المضمون، وقصة أبي بكر الذي رفض من الأعرابي قوله "لا عافاك الله" وطالبه بأن يقول "لا وعافاك الله" تدل على ذلك(٨).

ولا أجد عبارة تكشف عن أهمية هذا المبحث أفضل من عبارة شيخ البلاغة الجرجاني إذ يقول: (اعلمْ أنَّ العلمَ بما ينبغي أن يُصْنَعَ في الجملِ من عطفِ بعضها على بعضٍ أو تركِ العطفِ فيها والمجيءَ بها منثورةً تُسْتَأْنفُ واحدةٌ منها بعد أخرى من أسرارِ البلاغة ومما لا يتأتَّى لتمامِ الصَّوابِ فيه إلاَّ الأعرابُ الخُلَّص والأَ قَوْمٌ طُبِعُوا على البلاغة وأوتوا فنّاً مِنَ المعرفة في ذوقِ الكلامِ هم بها أفرادٌ. وقد بلغَ من قوة الأمر في ذلك أنَّهم جعلوهُ حَدّاً للبلاغة فقد جاء عَنْ بعضهم أنه سُئِل عنها فقال: مَعْرِفَةُ الفَصلِ منَ الوصلِ ذاك لغموضِه ودقِة مَسْلكِه وأنَّه لا يَكْمُلُ لإحرازِ الفضيلة فيه أحدٌ إلاَّ كَمَلَ لسائِر معاني البلاغة) (٩)

وقال أيضا: (وأعلمْ أنَّه ما من عِلْمٍ من علومِ البلاغةِ أنتَ تقولُ فيه إنه خَفيٌّ غامضٌ ودقيقُ صَعْبٌ إلاّ وعِلْمُ هذا البابِ أغمضُ وأخفى وأدقُّ وأصعبُ) (١٠)

ويقول المراغي في بيان أهميته:

(الفصل والوصل هو العلم بمواضع العطف أو الاستئناف والتهدي إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها، أو تركها عند الحاجة إليها، وذلك صعب المسلك لطيف المغزى كثير الفائدة غامض السر لا يوفق للصواب فيه إلا من أوتي حظا من

حسن الذوق وطُبع على البلاغة ورُزِق بصيرة نقادة في إدراك محاسنها، ولصعوبة ذلك جعل حدا للبلاغة، ألا ترى إلى بعض البلغاء وقد سئل عن البلاغة فقال: "هي معرفة الفصل والوصل"، فجعل ما سواه تبعا ومفتقرا إليه، وليس بالخفي أنه لم يرد بذلك إلا التنبيه على غموضه وجليل خطره وأن أحدًا لا يكمل في معرفته إلا كمل في سائر فنونها، فإن سبك الكلام وقوة أسره وشدة تلاحم أجزائه تحتاج إلى صانع صنع وحاذق ماهر يبين بين أقسام الجمل التي تفصل والتي توصل، فيرى الفرق واضحا بين جملتين تمتزجان حد الامتزاج، حتى كأن إحداهما الأخرى وجملتين لا تناسب بينهما؛ فإحداهما مُشْئِمة والأخرى مُعْرِقة، وجملتين هما وسط بين الأمرين فيحكم بوجوب الفصل في النوعين الأولين والوصل في النوع الثالث) (١١).

ويعد موضوع الفصل والوصل من أكثر موضوعات علم البلاغة المرتكزة على الذوق البياني؛ (لما لها من صلة بالمعنى المراد. فكم من متكلم أفسد معناه بالوصل، ولم يكن حقه كذلك. أو بالفصل والموضع موضع وصل! لذلك لم تكن قضية الفصل والوصل وأمرهما أمر حرف ترك تارة ووجد أخرى، بل هو أمر يتعلق بالمعنى الذي لا يصلح إلا بالوصل حينا، وبالفصل حينا آخر)(١٢)

إذ إنّ (ضَمَّ فكرةٍ إلى فِكرةٍ أخرى، وَلفظ ذي معنى إلى لفظ آخر ذي معنى موافق أو مخالف، يتطلّب إدْراكاً عالياً جدّاً، قادراً على تمييز درجات حُسن التلاؤم، ودركات قبح عدم التلاؤم الذي يُوَلِّد في النفوس الصَّدَّ أو النفرةَ أو الاستقباحَ، أو الحكم على الكلام بالركاكة، وسوء التركيب، وخروجِهِ عنْ أُطُرِ الجمال الفنّي) (١٣).

كما يعدُّ الفصل والوصل وسيلة من وسائل إبراز الجمال مع غيره من الأساليب، وله أدوات، إن فصلا وإن وصلا، وطرق لأداء وظيفته، فقد يفصل القرآن الكريم بين معنيين أو يربط بينهما، متخذا الإيضاح وسيلة لإبراز جمال المعنى فيعرضه

جليا لا شركة فيه ولا لبس، ليكون خالصا بذاته أمام المخاطب ليتدبره حق التدبر، أو يتخذ الإيجاز وسيلة في عرضه كيلا يتشتت الذهن في استيعاب المعنى، أو يحاول تثبيته وتقريره لأهميته وخطره، أو يعرضه في نسق ملفت مثير، أو يقطع الموضوع إلى أجزاء موصولة أو يعرضه بأشكال متعددة أو يقف أمام الهيئة المنفصلة أو الهيئة المتصلة ليرصد حركتها ويصور أبعادها أو يناسب بين الإيقاع الصوتي والإيقاع الدلالي أو غير ذلك.والفصل والوصل في كل هذا يراعي دائما إثارة عقول المخاطبين بمختلف درجات استيعابهم وإثارة أنفسهم بمختلف نزعاتها وميولها، وكذا وجدانهم وأذواقهم(١٤).

وتسهم دراسة موضوع الفصل والوصل في إبراز التلاؤم والتجانس في أجزاء الكلام فـ(التلاؤمَ وعدَمَ التلاؤم بين المعاني قضيَّةٌ جمالية فكريّة، والبحث فيها مائجٌ رَجْراجٌ لا حصر لصوره، والبحث فيه كالبحث في صُوَرِ أمواج البحر، وكالبحث في صُورِ حركات السُّحُب وتشكيلاتها المتنوعات الناتجات عن تقاربها وتباعدها، واجتماعها وافتراقها، مع اختلاف ألوانها وكثافاتها في الأبعاد الثلاثة: "الطول والعرض والْعُمْق) (١٥).

ومن هنا كان على كل من يتصدّى للدعوة إلى الله أنْ يكون على بصيرة بمحاسن الفصل والوصل بيْن الجمل في الكلام، حتّى يكون كلامهم أرفع أدباً، وأعظم تأثيراً.وأعظم معلّم لمحاسن الفصل والوصل بيْن الجمل كِتاب الله ثم أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: قواعد الفصل والوصل

أولا: قواعد الفصل:

حدد علماء البلاغة للفصل قواعد خمسا:

الأولى: أن تتحد الجملتان اتحادًا تامًّا بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها، بأن تكون مؤكدة لها مثل قوله تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾ الطارق: ١٧، أو موضحة ومبينة لها مثل قوله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ ﴾ طه: ١٢٠، أو بدلا منها، بدل كل، مثل قوله تعالى: ﴿ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ المؤمنون: ٨١ – ٨٢ أو بدل بعض، مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ ﴾ الشعراء: ١٣٢ – ١٣٤، أو بدل اشتمال، مثل قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ يس: ٢٠ – ٢١ وسمّوا ذلك **(كمال الاتصال)**

والثانية: أن يكون بين الجملتين تباين تام، وذلك باختلاف الجملتين، خبرا وإنشاء لفظا ومعنى، كقوله تعالى: ﴿ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ الحجرات: ٩، أو معنًى فقط)نجح خالد وفّقه الله)، وألا تكون بينهما مناسبة، بشرط ألا يوهم الفصل خلاف المقصود نحو قول الشاعر:

الفقر فيما جاوز الكفافا... من اتقى الله رجا وخافا. **وسمّوا ذلك: "كمال الانقطاع".**

والثالثة: أن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى، فتفصل الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال، لما بينهما من الاتصال مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾ هود: ٤٦ **وسمّوا ذلك (شبه كمال الاتصال).**

والرابعة: أن تسبق جملة بجملتين يصح عطفها على إحداهما ولا يصح عطفها على الأخرى لفساد المعنى، فيترك العطف دفعا لتوهم أن تكون الجملة معطوفة على التي لا يصح العطف عليها، مثل قوله تعالى:﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ البقرة: ١٤ – ١٥ لأنه لو عطف، لعطف (ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) إما على جملة (قَالُوا) وإما على جملة (إِنَّا مَعَكُمْ) وكلاهما لا يصح. **وسموا ذلك (شبه كمال الانقطاع).**

والخامسة: أن تكون الجملتان متفقتين خبرا أو إنشاء، وبينهما رابطة قوية، ولكن يمنع من العطف مانع، وذلك بأن يكون للجملة الأولى حكم لم يقصد إعطاؤه للثانية، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ البقرة: ١١ – ١٢ فإنهم مفسدون في جميع الأحوال قيل لهم لا تفسدوا أو لا.وسموا ذلك **(التوسط بين الكمالين)** مع قيام المانع من الوصل.

ثانيا: قواعد الوصل

وحددوا للوصل قواعد ثلاثا:

أولاها: أن تكون الجملة الأولى لها موقع من الإعراب وأريد إعطاء الثانية هذا الحكم الإعرابي، وكان هناك مناسبة ولا مانع من الوصل مثل قوله تعالى: ﴿ **وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾** ﴾ البقرة: ٢٤٥

والثانية: أن تتفق الجملتان خبرا أو إنشاء، لفظا ومعنى أو معنى فقط، مع وجود المناسبة بينهما، وليس هناك مانع من الوصل، ومثال الخبريتين قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾** ﴾ الانفطار: ١٣ – ١٤، ومثال الإنشائيتين قوله تعالى﴿ **وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ** ﴾الأعراف: ٣١، ومثال الإنشائية معنى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا** ﴾ البقرة: ٨٣ وسموا ذلك **(التوسط بين الكمالين).**

والثالثة: أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع إيهام الفصل خلاف المقصود مثل: (لا وعافاك الله)[١٦].

المبحث الثاني: الأمثلة التطبيقية على الفصل والوصل في متشابه النظم الكريم

المثال الأول: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ البقرة: ٦

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ يس: ١٠

جاءت كلمة (سَوَآءٌ لَمْ في البقرة من غير واو، وجاءت في (يس) بالواو ولبيان وجه الاختلاف بين الموضعين نقول: إن جملة (سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ لَمْ في البقرة هي خبر إنّ[١٧]؛ ولذا امتنع عطفها؛ إذ لا يعطف الخبر على المبتدأ؛ لأن الخبر هو الجزء المتمِّم للجملة. فيكون التقدير: إن الكافرين مستوٍ عندهم الإنذار وعدمه.

وأما في (يس) فإن جملة (وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ تَرَكَ معطوفة على جملة قبلها؛ فاقتضى ذلك دخول الواو. فالحديث فيها متّجِهٌ إلى فئة الكافرين المخبر عنها بجملة من الأخبار ومنها قوله: (وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ تَرَكَ . وأما في البقرة فإن قوله: (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَمْ هو ابتداء حديث عن فئة الكافرين عقب الحديث عن المتقين وصفاتهم. فليست في مقام ذكر أخبار الكافرين وتعدادِها كما هو الحال في (يس).

المثال الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ٤٩

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ إبراهيم: ٦

يلحظ في سورة البقرة مجيء الفعل (يذبحون) بدون الواو، ومجيئه في سورة إبراهيم بالواو (ويذبحون) فما سر الاختلاف والقصة واحدة؟

ذهب الخطيب الإسكافي إلى أن (يذبحون) في البقرة بدل [١٨] من قوله: (يسومونكم). والبدل من التوابع التي تؤكّد مضمون ما قبلها؛ فلا مغايرة بين البدل والمبدل منه، وعليه؛ فإن بين الجملتين كمال اتصال يمنع الوصل بين الجملتين.ولعل السر في اختصاص سورة البقرة بما جاء فيها أن قوله: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الآية. إخبار من الله تعالى بإنجاء بني إسرائيل؛ فلم يُرد تعدادَ المحن التي أصابتهم فوقع الفصل. وإنما مقصود الآية الكريمة التذكير بجنس النعمة دون تعدادها. فهي من كلام الله سبحانه وتعالى[١٩]

وأما التي في سورة إبراهيم فقد تقدّمها قوله تعالى:﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ ثمّ قَالَ تَعَالَى:﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾

فلمّا تقدّم ذلك ناسب العطف بالواو؛ فعطف (ويذبحون) على (سوم العذاب) لبيان أنه لونٌ أخرُ من العذاب. وفي هذا تعداد للمحن، وتذكير لهم بأنواع من نعم الله عليهم. فهذا من كلام موسى – عليه السلام – مذكرا به قومه بعد أن أمره الله بذلك[٢٠].

وذهب ابن الزبير الغرناطي إلى أن سورة إبراهيم لّما كانت مبنيّة على غرضين هما: الإجمال والإيجاز، وتغليظ الوعيد، كان قوله: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ مشيرا إلى جملة ما امتحنوا به من فرعون وآله بكل أشكال العذاب، ثمّ جرّد منها أشدَّها وأعظمها امتحانا فجيء به معطوفا كما أنه مغاير لما تقدّمه فقيل:﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾فعيّن من الجملة هذا، وخصّه بالذكر تعريفا بمكانته وشدّة الأمر فيه وهو ممّا أجمل أولا[٢١].

ويفهم من كلام ابن الزبير أن ذكر (الذبح) بعد (سوم العذاب) هو من باب عطف الخاص على العام كما في قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ البقرة: ٩٨ ثم قال:﴿ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾ فخصّهما بالذكر لبيان علوّ مكانتهما. **قال أبو السعود:** (وإنما عطفه على يسومونكم إخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد) (٢٢).

وأما في البقرة فإنها تحمل على البدل أو الاستئناف البياني وقد رجّحه ابن الزبير فقال: (وأما إعراب آية البقرة فيمكن في قوله تعالى:﴿ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ أن يحمل على البدل، وعلى الاستئناف. وهو الأولى؛ وكأنه قد قيل: وما ذاك؟ فقيل: يذبحون أبناءكم) (٢٣).

وحمله على الاستئناف البياني هو ما يفهم من كلام الإمام الطبري الذي وضع قاعدة في مثل هذا فيقول: (وكذلك العملُ في كل جملة أريد تفصيلُها، فبغير الواو تفصيلها، وإذا أريد العطف عليها بغيرها وغير تفصيلها فبالواو) (٢٤).

وذهب الزمخشري إلى جعل الذبح في سورة البقرة تفسيرا للعذاب وبيانا له: أي تفسيرا لصفات العذاب(٢٥).

وسواء حملنا قوله (يذبحون) بدون واو على البدلية أو الاستئناف البياني أو التفسير فإن العطف ممتنع لما بين الجملتين من كمال الاتصال أو شبهه.

والقول بزيادة (الواو) في إبراهيم قياسا لها على ما في سورة البقرة قول ضعيف. كما قال أبو حيان(٢٦).وذلك لأن القول بالزيادة بقياس آية على آية من الخطأ الظاهر الذي وقع فيه بعض مدعي القول بالزيادة غير ملتفتين إلى خصائص السياق، وطبيعة كلّ سورة. (٢٧).

وذكر ابن عاشور أن السرَّ في اختلاف النظمين في الموضعين هو من باب التفنن في إعادة القصة بحصول اختلاف في صورة النظم مع الحفاظ على المعنى المحكي، وهو ذكر سوء العذاب مجملا، وذكر أفظع أنواعه مبينا(٢٨).

ولو كان الأمر كما ذكر ابن عاشور –رحمه الله– فهل يصحُّ أن أن نذكر الواو في سورة البقرة، ونحذفها من سورة إبراهيم. أجزم بأن الجواب سيكون بالنفي. فإن وراء ذكر الواو في موضعها، وحذفها في موضعها حكما وأسرارا تُدرك من السياق وخصوص المقام. وهي تفيد مع تلك الحِكَمِ والأسرار تفننا وتلوينا في الخطاب.

وبعد هذا يمكن القول:إن العطف في سورة إبراهيم فيه تكثير للمصائب التي وقعت عليهم، والتي يمتن الله عليهم بتفريجها عليه؛ فاقتضى أن يجعل كلَّ بليّة مستقلة إظهارا للمنة ودفعا إلى وجوب الشكر. ولّما لم يكن المقام في البقرة يستدعي ذلك لم يأت بالعطف.

المثال الثالث: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ البقرة: ٥٨

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ ﴾الأعراف: ١٦١

للسائل أن يسأل عن سرّ دخول الواو في قوله: ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ البقرة، وتركها في قوله: ﴿ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأعراف. وللجواب عن ذلك نقول:

ذهب الكرماني إلى أن سبب ذكر الواو في قوله: ﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ هو أن الاتصال بين الجملتين أشدُّ وأقوى؛ حيث أسند فيه القول إلى الله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ فعطف جملة (وسنزيد) على جملة (ادخلوا). أي: وقلنا: سنزيد.

أما آية الأعراف ﴿ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ فجاءت مستأنفة. إذ بين الجملتن في البقرة علاقة حسّنت الوصل، ولّما كان بين الجملتين في الأعراف اختلاف حذفت الواو وحملت الجملة على الاستئناف [٢٩]

ورأى ابن الزبير أن سر مجيء الواو في آية البقرة هو أن هذه الواو عطفت نعمة جديدة على مجموعة من النعم والآلاء المذكورة قبلها في السورة بدءا من قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ البقرة: ٤٠، فقوله:﴿ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ نعمة جديدة مضافة إلى جملة النعم قبلها.ولّما لم يكن في الأعراف تعداد للنعم قبلها لم يعطفها على ما سبق[٣٠]. وهذا ما ذهب إليه البقاعي في نظم الدرر[٣١].

وعلّل الرازي ذكر الواو في آية البقرة، وحذفها في آية الأعراف: بأن آية الأعراف جاء فيها ذكرُ أمرين (أحدهما: قول الحِطّة وهو إشارة إلى التوبة. وثانيها: دخول الباب سجداً وهو إشارة إلى العبادة. ثم ذكر جزاءين: أحدهما قوله تعالى: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ﴾وهو واقع في مقابلة قول الحِطّة. والآخر قوله: ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وهو واقع في مقابلة دخول الباب سجداً. فترك الواو يفيد توزع كل واحد من الجزاءين على كل واحد من الشرطين. وأما في سورة البقرة فيفيد كون مجموع المغفرة والزيادة جزاء واحداً لمجموع الفعلين أعني دخول الباب وقول الحِطّة.)[٣٢].وهو رأي الزمخشري[٣٣]. وأبي السعود[٣٤].

وأضاف القمّي النيسابوري إلى ما نقله عن الرازي في تعليل الاختلاف بين الموضعين قائلا: (... وأيضا الاتصال اللفظي حاصل في هذه السورة بين قوله: (وإذ

قلنا) وبين قوله: (وسنزيد) بخلاف (الأعراف) لأن اللائق به في الظاهر سيزاد، فحذف الواو ليكون استئنافاً للكلام[٣٥]

والاستئناف المذكور هو اسئناف بياني. قال ابن عاشور: (وجملة ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا لأن قوله: {تُغْفَرْ لَكُمْ}[٣٦] في مقام الامتنان بإعطاء نعم كثيرة مما يثير سؤال سائل يقول: وهل الغفران هو قصارى جزائهم؟ فأجيب بأن بعده زيادة الأجر على الإحسان، أي على الامتثال[٣٧].

وعلى الرغم مما في كلام الرازي –رحمه الله– من تعليل واضح لسرّ الفصل والوصل في الموضعين إلا أنه لا يظهر منه سرّ اختصاص كلٍّ موضع بما جاء عليه، وهو ما كشف عنه ابن جماعة فقال: إن ذكر الواو في آية البقرة جاء متناسبا مع ما افتتحت به السورة من ذكر لنعم الله عليهم؛ فجاء بالواو لبيان أنها نعم كثيرة ومتعددة.وأما حذف الواو في آية الأعراف فهو متناسب مع ما افتتحت به السورة من توبيخهم وهو قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الأعراف: ١٣٨[٣٨].

ولأبي حيّان تعليل آخر للاختلاف بين الموضعين مفاده أن علة دخول الواو في آية البقرة كون السورة مبنية على الإسهاب والتفصيل، وأن علة ترك الواو في آية الأعراف كون السورة مبنية على الاختصار والإجمال. وهذا نصُّ كلامه: (وَسَنَزِيدُ: هنا بالواو، وفي الأعراف سَنَزِيدُ، والتي في الأعراف مختصرة. ألا ترى إلى سقوط رغدا؟ والواو من: (وَسَنَزِيدُ)، وقوله: (فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ) بدل، (فَأَنْزَلْنا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)، وإثبات ذلك هنا، وناسب الإسهاب هنا والاختصار هناك)[٣٩]

وما ذكره أبو حيان علّة عامّة؛ يصلح أن يُعَلل بها أيُّ اختلافٍ بين موضعين في القرآن الكريم. ونحن إنما نبحث عن العلل الخاصّة وراء اختلاف صورة النظم في الآيات المتشابهة؛ ولذا فإن ما ذكره أبو حيان - رحمه الله- لا يوقفنا على سرّ ذكر الواو وحذفها في الآيتين الكريمتين.

كما أننا لا نتفق مع ما ذهب إليه صاحب المنار –رحمه الله- من أن ذكر الواو وحذفَها في الموضعين سواء. قال: (قال هَاهُنَا: سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ بِدُونِ وَاوٍ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ الْبَيَانِيِّ، وَهُوَ جَوَابُ سُؤَالٍ كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَاذَا بَعْدُ الْمَغْفِرَةِ؟ أَيْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فِي عَمَلِهِمْ جَزَاءً حَسَنًا عَلَى إِحْسَانِهِمْ، وَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: وَسَنَزِيدُ بِالْعَطْفِ. وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.) ثم جعل وجود اختلاف بين النظمين أمرا محتملا؛ فقال: (وَقَدْ يَكُونُ طَرْحُ الْوَاوِ أَدَلَّ عَلَى كَوْنِ هَذِهِ الزِّيَادَةِ تَفَضُّلا مَحْضا لَيْسَ مُشَارِكًا لِلْمَغْفِرَةِ فِيمَا جَعَلَ سَبَبًا لَهَا مِنَ الْخُضُوعِ وَالسُّجُودِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالدُّعَاءِ بِحَطِّ الْأَوْزَارِ.) [٤٠]

المثال الرابع: قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ البقرة: ١١٦

وقوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يونس: ٦٨

جاء موضع البقرة في قراءة الجمهور[٤١] (بالواو) عطفاً على قوله تعالى: (وقالت اليهود) وهو آكد وأحسن فهو من عطف جملة خبرية على جملة مثلها كما قال أبو حيان[٤٢].

وقرأ ابن عامر[٤٣] ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ بدون واو، وهي تحتمل وجهين: الأول: الاستئناف وهو الذي قدّمه أبو حيان[٤٤]. والثاني: حذف حرف العطف – وهو مراد–استغناء عنه بربط الضمير بما قبل هذه الجملة.

والوجه الأول أقوى؛ لأنه يُظهر قوة الصلة ومتانة الترابط بين الجمل المتتالية. قال الزركشي: (قالوا اتخذ الله ولدا آية البقرة في مصاحف الشام بغير واو –يعني قراءة ابن عامر– لأن هذه الآية ملابسة لما قبلها من قوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾ البقرة: ١١٤ لأن القائلين: اتخذ الله ولدا من جملة المتقدم ذكرهم؛ فيستغنى عن ذكر الواو لالتباس الجملة بما قبلها، كما استغنى عنها في نحو قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ البقرة: ٣٩ ولو كان (وَهُمْ) كان حسنا إلا أن التباس إحدى الجملتين بالأخرى وارتباطها بها أغنى عن الواو) [٤٥]

ويظهر أن بين القراءتين في موضع البقرة تكاملا في المعنى؛ فلا تغني إحداهما عن الأخرى. وهذا ما ما كشف عنه البقاعي بقوله: (ولما كان العطف على مقالات أهل الكتاب ربما أوهم اختصاص الذم بهم حذفت واو العطف في قراءة ابن عامر على طريق الاستئناف في جواب من كأنه قال: هل انقطع حبل افترائهم؟ إشارة إلى ذم كل من قال بذلك، وذلك إشارة إلى شدة التباسها بما قبلها كما قال الإمام أبو علي الفارسي في كتاب الحجة[٤٦]، لأن جميع المتحزبين على أهل الإسلام مانعون لهم من إحياء المساجد بالذكر لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها، والحاصل أنه إن عطف كان انصباب الكلام إلى أهل الكتاب وأما غيرهم فتبع لهم للمساواة في المقالة، وإذا حذفت الواو انصب إلى الكل انصباباً واحداً.) [٤٧]

فيظهر مما سبق أن قوله (قالوا اتخذ الله ولدا) بحذف الواو في قراءة ابن عامر مستأنف استئنافا بيانيا إجابة عن سؤال مقدّر ينشأ من السياق، وهو ما يعبر عنه علماء البلاغة بشبه كمال الاتصال(٤٨).

وأما دخول الواو على قراءة الجمهور فهو من باب عطف الجمل جمعا لمقولات أهل الكتاب ومن تابعهم، فكأنه قال: قالوا كذا وكذا. وقالواكذا وكذا.

وأما علة فصل آية يونس عما قبلها؛ فلأن هذه الجملة ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ بيان لجملة: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ يونس: ٦٦ وفي هذا البيان إدماج بحكاية فنّ من فنون كفرهم مغاير لادعاء شركاء لله؛ لأن هذا كفر خفي من دينهم، ولأن الاستدلال على إبطاله مغاير للاستدلال على إبطال الشركاء. والضمير في (قالوا) عائد إلى الذين يدعون من دون الله شركاء. أي: قال المشركون: اتخذ الله ولدا(٤٩).

ويمكن أن تكون جملة ﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا إجابة عن سؤال مقدر يفهم من قوله:﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ فكأن سائلا يسأل: فماذا كان خرصهم واتباعهم الظن؟ قال: قالوا اتخذ الله ولدا. و(الجملة الواقعة بينهما معترضة)(٥٠).

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ آل عمران: ٥١

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ مريم: ٣٦

جاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ في سورة آل عمران بغير واو. وتحتمل هذه الآية أن تكون مستأنفة استئنافا بيانيا، أو أن تكون بدلا. (٥١) أو واقعة موقع التعليل للأمر بالتقوى(٥٢).

وتحمل على الاستئناف البياني إذا جعلنا قوله: ﴿ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ آل عمران: ٥٠ تأكيدا للآية قبلها لتقدّم معناها ولفظها(٥٣) ويكون التقدير: كأنه قيل: ما تلك الآية التي سميتها (آية) بعد ما جئت به من الأشياء الباهرة قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾(٥٤).

وأما إذا جعلنا قوله تعالى: ﴿ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ تأسيسا لا توكيدا، وكان معنى الآية قولَه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ فلا يصحُّ الاستئناف، بل يكون على إضمار القول، وذلك القول بدل من الآية، على تقدير: وجئتكم بآية من ربكم قولي: إنَّ الله. فقولي بدلٌ من (آية). و(إنَّ) وما في حَيِّزها معمولةٌ لقولي، ويكون قوله: ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ اعتراضاً بين البدلِ والمبدلِ منه(٥٥).

والقول الثاني هو الذي رجّحه أبو حيّان، قال: (ظاهر اللفظ أن يكون قوله: وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ للتأسيس لا للتوكيد، لقوله: قد جئتكم بآية من ربكم، وتكون هذه الآية قوله: إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ لأن هذا القول شاهد على صحة رسالته، إذ جميع الرسل كانوا عليه لم يختلفوا فيه، وجعل هذا القول آية وعلامة، لأنه رسول كسائر الرسل، حيث هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال) (٥٦).

ويظهر على جميع الأقوال السابقة أن بين الجملتين كمال اتصال على القول بالبدل أو شبه كمال اتصال على القول بالاستئناف البياني أو التعليل. وهما أمران لا يصلح معهما دخول الواو.

وأما في آية سورة مريم فقد جاء قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ بالواو. وللعلماء في عطفها أقوال تبعا لاختلاف القرّاء في كسر همزة (إنَّ) وفتحها(٥٧).

فعلى قراءة الفتح: إما أن تكون ردّا على عيسى وعطفا عليه.بمعنى: ذلك عيسى ابن مريم، وذلك أن الله ربي وربكم.أو عطفا على الكتاب. بتقدير: وأوصاني بالكتاب وأنّ الله ربي وربكم(٥٨).

وعلى قراءة الكسر: إما أن تكون عطفا على قوله: (إني عبد الله) داخل تحت القول؛ فهو من تمام كلام عيسى – عليه السلام – تقريرا لمعنى العبودية. وما بينهما من الجمل اعتراض.أو تحمل على الاستئناف(٥٩).

وأما عن سرّ اختصاص كلّ موضع بما جاء عليه فيبرزه لنا ابن الزبير الغرناطي-رحمه الله- متخذا من السياق مستندا له في ذلك فيقول:

إن آية مريم لّما تضمّنت مقالة عيسى –عليه السلام- وآية كلامه في المهد مخبرا عن حاله النبويّة، وما منحه اللهُ من الخصائص العظيمة؛ فقال: (﴿ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ إلى ما أعقب به هذا من الخصائص الجليلة منسوقا بعضها على بعض، فذكر حفظ الله له وتكريمه إياه في كلّ أحواله الثلاثة البشرية وهي: حال الولادة وحال الموت وحال البعث بعده وهذه أحوال مما تتنزه الربوبية عنها، وتتعالى عن تجويزها عليه سبحانه.ثمّ كان من تمام هذا إخبار عيسى عليه السلام وإقراره بالربوبية لله – سبحانه وتعالى – في كلّ الأمور فقال:﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ﴾وكان هذا الكلام متصلا بما سبق؛ فكأنه قال: إني عبد الله ومخصوص

منه بكذا وكذا، ومعترف بانفراد خالقي بملك الكلّ؛ فهو خالقهم ومربيهم. ويظهر أن هذا الكلام من حيث معناه متصل بما سبق. ثم جاء بعده ما يشعر أن كلام عيسى قد تمّ وانقضى بقوله:﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾ ثمّ شرع في قضية أخرى من التعريف بحقيقة أمر عيسى-عليه السلام- فقال: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۚ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٖۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

فورد هنا مورد الجمل التي كأنّها مفصولة مما قبلها مع الحاجة إليها، واتصال ما بعدها بما قبلها؛ فلا بدّ من حرف النسق ليحصل منه أنه كلام غير منقطع بعضه من بعض ولا مستأنف، بل هو معطوف على ما تقدّمه من كلام عيسى –عليه السلام- فكان لا بد ّ من حرف النسق لإحراز هذا الالتحام؛ إذ لم يكن ليحصل دون حرف النسق حصوله معه. فقيل: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾ وهو حكاية قول عيسى متصلا من حيث معناه بقوله:﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴾فالوجه عطفه عليه مع الحاجة إلى ما توسط الكلامين.ولم يعرض في آية آل عمران فصل بين الآية وما قبلها يوهم انقطاعا فيحتاج إلى الواو(٦٠).

فيفهم من كلام ابن الزبير – رحمه الله – أن علة دخول الواو في مريم هي لرفع التوهم بأن قوله: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ ﴾ مقطوع أو منفصل عما قبله غير داخل فيه. وإثبات كونه معطوفا على ما تقدمه من كلام بصرف النظر عما دخل الكلام من جمل توهم الانقطاع **وهذا ملحظ في الحقيقة يستحق العناية والاهتمام** – كما نفهم أيضا أن علة الفصل في آية آل عمران كمال الاتصال(٦١).

المثال السادس: قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ آل عمران: ٩٩

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ الأعراف: ٨٦

يلحظ أن آية آل عمران خلت من الواو، وأن آية الأعراف قد جاءت فيها. فما وجه الاختلاف بين الآيتين الكريمتين؟

قال الكرماني: ﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ بدون واو حال، والواو لا تزاد مع الفعل إذا وقع حالا[٦٢]. نحو قوله: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ المدثر: ٦ ونحو: ﴿ دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾ سبأ: ١٤

وفي الأعراف: عطف الفعل على الحال، والحال قوله: (توعدون) وتصدّون عطف عليه، وكذلك ﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ فهو من باب عطف الجُمَل.[٦٣]

وذهب أبو حيّان إلى أنّ ﴿ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ تحتمل الاستئناف، وتحتمل أن تكون حالا من الضمير في (يصدّون) أو من (عن سبيل الله) وفي الأعراف: قوله: (توعدون وتصدون وتبغونها) أحوال، أي: مُوعدين، وصادّين، وباغين[٦٤].

وأمّا عن سرّ دخول الواو في آية الأعراف دون آية آل عمران، فهو مما يشي به السياق، ويتطلبه المقام؛ فإن هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن مدين قوم شعيب وبيان الأمور التي نهاهم عنها فقال: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ

مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف: ٨٥ ثم قال: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾

فعدّد عليهم كثيرا من سيئات أعمالهم، وقبيح تصرفاتهم. فجعل كلَّ قضية منها قائمة بنفسها؛ فبخسُ الناس قضية، والإفساد في الأرض قضية، وتوعُّد الناس بالطرقات قضية، والصّدُّ عن سبيل الله قضية، وابتغاء العوج قضية. وهذا الأسلوب أقبحُ في ذمّهم وتوبيخهم، وإظهار سوء تصرفاتهم؛ إذ المقام في الأعراف مقام توبيخ.

وأمّا في آل عمران فإن الخطاب فيها لأهل الكتاب تلطفا معهم؛ ليصرفهم عن ضلالهم، ويردعهم عن غيّهم؛ لذا لم يعدّد عليهم جرائمهم وقبيح تصرفاتهم؛ فجاءت الجملة بعدها غيرمعطوفة.

المثال السابع: قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٦

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٥٨

للسائل أن يسأل عن سرّ وصل قوله تعالى: ﴿ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ آل عمران، بالواو. وعن فصل قوله تعالى: ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ العنكبوت. عمّا قبلها.؟

قال الخطيب الإسكافي:(إنّ آية آل عمران مبنية على تداخل الأخبار؛ لأنّ أولها: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ ﴾ (فأولئك) مبتدأ، و(جزاؤهم) مبتدأ ثانٍ. و(مغفرة) خبر للمبتدأ الثاني. وهو مع خبره خبر المبتدأ الأوّل. والجزاء هو الأجر، فكأنه قال: أولئك أجرهم على أعمالهم محوُ ذنوبهم، وإدامة نعمهم، وهذا الأجر مفضل على كل أجر يعطاه عامل عمله فنسقت الأخبار بعضها على بعض للتنبيه على النعم التي هيّئت لرجاء الراجين. والخبر إذا جاء بعد خبر في هذا المكان الذي تفصل فيه المواهب المرغب فيها، فحقه أن يعطف على ما قبله بالواو، وكقولك: هذا جزاء كذا وكذا، أي: هو ترك المؤاخذة بالذنب والتنعم في جنة الخلد، وتفضيله على كل جزاء جوزي به عامل، وذلك تشريف وكرامة.) (٦٥)

وهذا ما عبر عنه الكرماني بقوله:زيدت الواو لأن الاتصال بما قبلها أكثر من غيرها وتقديره: ونعم أجرُ العاملين المغفرة والجنات والخلود(٦٦).

وأمّا آية العنكبوت فإنّ ما قبلها مبني على أن يدرج الكلام فيه على جملة واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾فلمّا جعلت عِدّة الأشياء في درج كلام واحد-وهي جملة ابتداء وخبر، واحتمل قوله:﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ أن تكون بواو وبغير واو- اختير مجيئها بدون واوٍ ليشبه ما تقدّم من صفة الخبر لا على سبيل عطف ونسق بها؛ فيكون قوله:﴿نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴾ من تمام الكلام(٦٧).

إذن ناسب دخول الواو في آية آل عمران التفصيل المتقدم في صفات المتقين نحو قوله: (والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والذين إذا فعلوا فاحشة ولم يصروا، جزاؤهم مغفرة، وجنات، وخلود)؛ إذ العطف مؤذن بالتعدد والتفخيم، وهو أمر يتطلبه المقام. (٦٨)

وأما في العنكبوت فلم يأت تفصيل في الصفات، ولم يقع فيها عطف؛ لذا جاءت جملة المدح من غير واو ليتناسب النظم(٦٩).

وفرّق فاضل السّامرائي بين قوله تعالى:﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ إذ جعل قوله:﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾أقوى وأدلّ على التكريم من قوله: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾. وضرب على ذلك مثلا فقال: عندما تكرّم الأول في الجامعة هناك أول مكرر هناك أكثر من أول فأعطيت كل واحد سيارة هذا نعم أجر العاملين، لكن أول الأوائل الذي هو أولهم أخذ سيارتين. هذا ونعم أجر العاملين هذه أقوى من الأولى، أما فنعم أجر العاملين هذه عندما يستلمون الجائزة(٧٠).

يفهم مما سبق: أنه جعل قوله: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ متناسبا مع جزاء المؤمنين الملتزمين بدينهم، القائمين بواجباتهم. وجعل قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾خاصّا بفئة أرقى وأكثر دقة وحرصا من المؤمنين؛ فنالت مرتبة أعلى ومنزلة أسمى فهذا أجر المتميزين. فإن الأجر إذا وعدت به فهو (نعم أجر العاملين). وإذا كان الأجر متميزا لتميزك فهو (ونعم أجر العاملين).

ويبدو أنَّ تفريقَ السامرائي بين الجملتينِ هنا تفريقٌ ذوقيٌّ لا يظهرُ له وجهٌ واضحٌ من الاستناد إلى ما تقرَّرَ في اللغة من دلالة مثل هذه الجملة بالواو وبدون واو؛ فقواعدُ اللغة لا يُؤْخَذُ منها أنَّ (نعمَ أجرُ العاملين) وعدٌ لطبقة من العاملين، وأنَّ (ونعمَ أجرُ العاملين) وعدٌ لطبقةٍ أخرى.. ولذا فالأقربُ إلى دلالات اللغة والأوفقُ بسياق الآيتين ما ذهبَ إليه أصحابُ كتب المتشابه في تعليل وصل آية آل عمران، وفصل آية العنكبوت، واللهُ أعلمُ بأسرار كتابه.

المثال الثامن: قال تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ النساء: ١٣

وقال تعالى: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ ﴾ التوبة: ٨٩

ذكرت الواو في آية سورة النساء ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾، وخلت آية سورة التوبة من الواو في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ ولبيان سرّ ذلك:

ذهب الكرماني إلى أنّ ذكر الواو في آية النساء اقتضاه أمران لم يتوافرا في سورة التوبة هما:

الأول: موافقة لما قبلها، وهي جملة مبدوءة بالواو، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾

الثاني: موافقة لما بعدها وهو قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ النساء: ١٤

وفي براءة ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ﴾ بغير واو؛ ولذلك قال: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾بغير واو.(٧١)

وذهب القمّي النيسابوري إلى أن سبب الاختلاف بين الموضعين أنّ الجملة إذا جاءت بعد جملة من غير تراخٍ بنزول جاءت مربوطة إمّا بواو العطف، وإما بكناية تعود من الثانية إلى الأولى، وإما بإشارة فيها إليها، وربّما جمع بين الشيئين منها والثلاثة للدلالة على المبالغة. وفي خاتمة النساء جمع بين هذه الثلاثة لغاية التوكيد والمبالغة(٧٢).

ويمكن القول:إنّ آية النساء جاءت عقب الحديث عن أحكام الميراث والوصية والدّيْن وهي أمور متعلقة بالجانب المالي الذي له مكانة عظيمة عند الإنسان (فالمال شقيق الروح) مما يجعل أمر أداء الحقوق المالية إلى أصحابها أمرا شاقّا على النفس إلا من جاهد نفسه، وحملها على طاعة ربّه حتى استقامت له فجاء قوله تعالى:﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ بالواو ليشعر أن مجرد الطاعة لما أمر الله به محقق للفوز والنجاة؛ فهو خاصٌّ بمن يطيع الأحكام الواردة في الكتاب والسنة من حلال وحرام؛وعليه فإن دخول الواو هنا إشارة إلى فوزهم ونجاتهم لقيامهم بما طلب منهم من أداء الفرائض وإيصال الحقوق إلى أصحابها؛ فالفوز أنواع ودرجات. وما تشير إليه هذه الآية ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ هو لون من ألوان الفوز.

وألمح البقاعي إلى هذا بقوله: (ولما كان اختصاصهم بالإرث عن النساء والأطفال من الفوز عندهم، بل لم يكن الفوز العظيم عندهم إلا الاحتواء على الأموال، وبلوغ ما في البال منها من الآمال؛ قال تعالى معظماً بأداة البعد:(وذلك) أي:الأمر العالي المرتبة من الطاعة المندوب إليها(الفوز العظيم) أي: لا غيره من الاحتواء على ما لم يأذن به الله؟ وهذا أنسب شيء لتقديم الترغيب لتسمح نفوسهم بترك ما كانوا فيه مع ما فيه من التلطف بهذه الأمة والتبشير له (صلى الله عليه وسلم) بأنها مطيعة راشدة) (٧٣).

وأمّا ما جاء في التوبة فإن الفوز فيه أعظم وأعلى من الفوز المذكور في آية النساء ومما يدلّ على ذلك أن الفئة التي وعدت بهذا الجزاء والأعمال التي قامت بها هي فئة متميزة في إيمانها وأعمالها، إنها فئة تضم الرسول –صلى الله عليه وسلم– وصحابته، هذه الفئة التي تميزت بأفعالها وأعظمُها الجهاد بالمال والنفس؛ فاستحقت على ذلك أعلى أنواع الجزاء؛ والتي جاء ذكرها في قوله تعالى:

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨ ﴾ التوبة: ٨٨؛ لذا جاء قوله: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ ليشعر أن هذا الفوز هو الحقيق بأن يسمى فوزا، وهو الذي تطمح النفوس إلى بلوغه.

ومما يدلّ على ذلك أيضا أن قوله:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ قد جاءت في سورة التوبة في أكثر من موضع تعقيبا على جزاء الفئة المتميزة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٧١ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٧٢ ﴾ التوبة: ٧١ – ٧٢

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠ ﴾ التوبة: ١٠٠

وجاءفي سورة يونس: قوله تعالى:﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ ﴾ يونس: ٦٢ – ٦٤ فهو حديث عن أولياء الله وهم فئة متميزة بكل أعمالها وتصرفاتها.

ولا يعكّر على ما تقدم مجيء قوله تعالى: ﴿ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ التوبة: ١١١ عقب الحديث عن الجهاد في قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ التوبة: ١١١

وذلك أن الآية الكريمة حثٌّ على الجهاد وترغيب فيه، فمن امتثل وباع نفسه لله فقد حقق الفوز العظيم، ومن نكص وجبن فقد خسر خسرانا مبينا.فكان دخول الواو مشعرا بأن مجرد الامتثال لأمر الله في باب الجهاد محقق للفوز والنجاة. ولاسيما أن هذه الآية الكريمة فيها تعريض بالمنافقين الذين قعدوا عن الخروج إلى الجهاد في غزوة العسرة فخسروا، وأن من لحق بجيش المسلمين على قلّة ذات يده فقد نجا وفاز. والله أعلم.

المثال التاسع: قوله تعالى: ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ النساء: ١٢٧

وقوله تعالى: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ النساء: ١٧٦

للسائل أن يسأل عن علّة دخول الواو في الآية الأولى، وتركها في الآية الثانية.؟ وللجواب عن ذلك نقول:

قد أوضح الكرماني سرَّ هذا الاختلاف بأن قوله:﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ ﴾ في الآية الأولى لّما كان متصلا بما بعده وهو قوله:﴿ فِي النِّسَاءِ ﴾ وصله بما قبله بواو العطف والعائدِ جميعا.

ولّما كانت الآية الثانية﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ منفصلة عمّا بعدها؛ اقتصر من الاتصال على العائد وهو ضمير المستفتين. فالذي يتصل بـ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ ﴾ محذوف يحتمل أن يكون **(في الكلالة)**، ويحتمل أن يكون فيما بدا لهم من الوقائع(٧٤).

ومعنى كلام الكرماني: أنّه لّما ذكر المتعلق في الآية الأولى وهو قوله: ﴿ فِي ٱلنِّسَآءِ ﴾كان هذا موضوعا جديدا من جملة الموضوعات التي عالجتها السورة الكريمة؛ فعطفها على ما سبق من الموضوعات. وهو ما عبّر عنه ابن عاشور عند حديثه عن هذه الآية قائلا: (عطف تشريع على إيمان وحكمة وعظة. ولعلّ هذا الاستفتاء حدث حين نزول الآيات السابقة. فذكر حكمه عقبها معطوفاً) (٧٥). فتعدد الموضوعات واختلافها وتنوعها موجب لدخول العطف.

وبيّن البقاعي منهج القرآن في عرض الموضوعات المختلفة بأن هذا الكتاب يذكر (أحكاماً من الأصول والفروع، ثم يفصلها بوعد ووعيد، وترغيب وترهيب، وينظمها بدلائل كبريائه وجلاله، وعظيم بره وكماله. ثم يعود إلى بيان الأحكام على أبدع نظام؛ لأن إلقاء المراد في ذلك القالب أقرب إلى القبول، والنظم كذلك أجدر بالتأثير في القلوب؛ لأن التكليف بالأعمال الشاقة لا تنقاد له النفوس إلا إذا كان مقروناً ببشارة ونذارة، وذلك لا يؤثر إلا عند القطع بغاية الكمال لمن صدر عنه ذلك المقال، ولا ينتقل مع ذلك من أسلوب إلى آخر إلا على غاية ما يكون من المناسبة بين آخر كل نوع وأول ما بعده بكمال التعلق لفظاً ومعنى. وفصّل سبحانه وتعالى في هذه السورة في أحكام العدل الذي بدأ السورة به في المواصلة التي مبناها النكاح والإرث وغير ذلك مما اتصل به – كما بين – إلى أن ختم هنا بالإسلام المثمر لقبول ذلك كله، وعظمة الملك الموجبة لتمام الإسلام، وقامت البراهين وسطعت الحجج، وكان من أعظم مقاصد السورة العدل في الضعفاء من الأيتام وغيرهم في الميراث وغيره، وكان توريث النساء والأطفال – ذكوراً كانوا أو إناثاً – مما أبته نفوسهم، وأشربت بغضه قلوبهم، وكان التفريق في إثبات ما هذا سبيله أنجع،وإلقاؤه شيئاً فشيئاً في قوالب البلاغة أنفع؛وصل بذلك قوله تعال:﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ ﴾)(٧٦).

وعليه فقد جعل البقاعي- إيضاحا للمناسبة- الواو في قوله:﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ ﴾ للحال، وصاحبها اسم الجلالة في الجملة قبلها. والمعنى أي: (له ما ذُكِر فلا مساغ للاعتراض عليه والحال أنهم يسألونك طلبا لأن تُفْتِي عليهم بالجواب في بعض ما أعطى من ملكه لبعض مخلوقاته.) (٧٧).

وأما الآية الثانية: فلما كان المتعلق محذوفا، ويحتمل أن يكون الكلالة، وأن يكون غيرها كما تقدم؛ لم تأت الواو معها لانقطاعها عمّا قبلها. وهو ما أشار إليه ابن عاشور أيضا بقوله: (لا مناسبة بين هذه الآية وبين اللاتي قبلها، فوقوعها عقبها لا يكون إلا لأجل نزولها عقب نزول ما تقدمها من هذه السورة مع مناسبتها لآية الكلالة السابقة في أثناء ذكر الفرائض) (٧٨)

ولا يُسَلَّمُ لابن عاشور نفيُه المناسبةَ بين آية الكلالة وما قبلها؛ فإنَّ خفاءَ المناسبة أحياناً –كما في هذا الموضع- لا يلزمُ منه عدمُ وجودِها، بل المقطوعُ به أنَّ المناسبةَ حاصلةٌ على أكمل وجه وأحسنه، عرفناها أو لم نعرفها؛ ضرورةَ أنَّ ترتيبَ الآيات توقيفيٌّ من لدن حكيم خبير.

وإذا كانت المناسبةُ هنا قد خَفِيَتْ على ابن عاشور، فقد تَبَدَّتْ للبقاعي الذي ذهبَ إلى أنّ ترك الواو في هذه الآية لما بينها وبين ما قبلها من كمال الاتصال فقال:

(فقد أتى – كما ترى – بأمّا المقتضية للتقسيم لا محالة، وأتى بأحد القسمين المذكورين في الآية التي قبلها، ووصفهم بالاعتصام بالله في النصرة وقبول جميع أحكامه في الفرائض وغيرها، وافقت أهويتهم أو خالفتها، تعريضاً للمنافقين الذين والَوْا غيرهم، وبالكافرين الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض. وترك القسم الآخر وهو قسم المستنكفين والمستكبرين، ووضع موضعه حكماً من أحكام الفرائض المفتتح بها

السورة التي هي من أعظم مقاصدها من غير حرف عطف، بل بكمال الاتصال، فقال منكراً عليهم تركيز السؤال عن النساء والأطفال بعد شافي المقال، مبيناً أنه قد هدى في ذلك كله أقوم طريق: (يستفتونك)...) (٧٩).

المثال العاشر: قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴾ الأنعام: ٦

وقوله تعالى:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ ﴾ الشعراء: ٧

للسائل أن يسأل عن سرّ ثبوت الواو في آية الشعراء، وسقوطها من آية الأنعام، وعن وجه اختصاص كلّ واحدة منهما بذلك؟

باديء ذي بدء يجدر التنويه أن صيغة (أَلَمْ يَرَوْا الظُّلُمَاتِ (٨٠) قد جاءت في أكثر من موضع في كتاب الله- عزّ وجل، وكذلك صيغة (أَوَلَمْ يَرَوْا لَعَلَّكَ (٨١) وقد كشف الخطيب الإسكافي عن الفرق بين الصيغتين بما ملخصه:

أن الألف تدخل على واو العطف في الاستخبار والإنكار والتقريع على تقدير أن تكون الجملة التي فيها الواو معطوفة على كلام مثلها يقتضيها ذلك.فكلُّ موضع فيه بعد ألف الإنكار(واو) ففيه تبكيت على ما يسهل الطريق على ما بعد الواو، فالاعتبار به لكثرة أمثاله كقوله:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ كأن قائلا قال: كذّبوا الرسول وغفلوا عن التفكر والتدبر ولم ينظروا إلى المشاهدات التي تنبه الفكر فيها من الغفلة.ومثلها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ

﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ الملك: ١٩ كأنه قال: كذبوا ولم ينظروا إلى ما يردع عن الغفلة من التفكر في المشاهدات. ومثلها قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾ النحل: ٤٨ لأن ذلك مشاهد (وكلُّ ما فيه واو مثل **﴿أَوَلَمْ يَرَوْا لَعَلَّكَ﴾** فهو تنبيه على ما تقدّمه في التقدير من أمثال منبهة لكثرتها، فالتبكيت فيه أعظم؛ هذا كلُّه في المشاهد وما في حكمه.)

وأما التي ليس فيها واو فهو مما لم يقدّر قبله ما يعطف عليه ما بعده؛ لأنه من باب ما لا يكثر مثله، وذلك فيما يؤدي إلى علمه الاستدلالات كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ فهذا مما لم يشاهدوه ولكن علموه. ومنها قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ يس: ٣١ فطريق العلم به الاستدلال لا المشاهدة. فمثل هذه الأمور مما لم يكثر في معلومهم أشباهه، فهم ينبهون عليه ابتداء من غير إحالة إلى مثال سابق.(٨٢)

ويُفْهَمُ من كلام الإسكافي أنَّ صيغة (أَوَلَمْ يَرَوْا لَعَلَّكَ بالواو تكون في المقام الذي يقتضي الاعتبار بالحاضر والمشاهدة. وصيغة (أَلَمْ يَرَوْا الظُّلُمَاتِ بدون واو تكون في المقام الذي يقتضي النظر والاستدلال.(٨٣)

وهذه القاعدة منسحبة على كلّ الأمثلة المشابهة ولا ينقضها- كما ذكر الإسكافي- اعتراض المعترض بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾ النحل: ٧٩

وأن هذا من القسم المشاهد؛ فكان ينبغي إدخال الواو معه كما أدخله في قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ الملك: ١٩. والجواب عن هذا الاعتراض أن يقال: إن قوله: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾ مبنية

على الآية قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ النحل: ٧٨ ففيها حديث عن أول أحوال الإنسان، وأنه أخرجهم أطفالا صغارا من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا من منافعهم فيقصدونها، ولا من مضارهم فيجتنبونها، ثم بصّرهم حتى عرفوا، ونبههم على ما يشاهده كل حي من تصرف الطير في الهواء وعجزه عن مثل ذلك، وكان هذا مقرونا بأول الأحوال، ولم يتقدّمه أمثال له يقع التنبيه عليها قبله فيكون في حكم ما يعطف على ما تقدّمه.

ويمكنُ أن يُقالَ أيضاً: لا يُسلَّمُ أنَّ ما ذُكِرَ في آية النحل من معنى (تسخير الطير) من القِسْمِ المشاهَد، بل هو من القِسْمِ الذي يقتضي نظراً واستدلالاً؛ إذ إنَّ كثيراً من الخَلْقِ يمرُّون على آيات الله وهم عن دلالاتِها معرضون، وإنما يستحضِرُ معنى (التسخير) القومُ المؤمنون، ولذلك خُتِمَتْ آيةُ النحل بقوله سبحانه: (إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون). وأما ما ذُكِرَ في آية الملك فهو (صفُّ الطيرِ أجنحتَها وقبضُها لها)، وهذا أمرٌ يحصلُ علمُه بالرؤية والمشاهدة.

كما لا تنتقض القاعدة باعتراض المعترض بقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ الروم: ٣٧ وهذا مما لا يعلم ولا يشاهد؛ فكان الأصل أن يكون بغير واو.

والجواب: أن التوسعة في الرزق والتقتير فيه لما كانت له أمارات ترى وتشاهد من أحوال الغنى والفقر، صار أمرهما كالمشاهدات؛فكانا مما شوهدت أمثال لهما فعطفت عليها. (٨٤)

وهكذا نرى أنَّ القاعدةَ التي أصَّلَها الإسكافيُّ في التفريق بين دلالة (ألم يَروا) ودلالة (أوَلم يروا) لها حظُّها الوافرُ من الدقة والرشد والإصابة.

وأما عن سر اختصاص كل سورة بما اختصّت به؛ فيقول ابن الزبير:

(إن آية الأنعام لم يتقدم قبلها التنبيه على ما به التذكار والاعتبار مفصحا به تنبيها مع تخويف وتهديد متأكد مكرر يستدعى التقريع والتوبيخ بمقتضى الهمزة الداخلة على واو العطف كما فى سورة الشعراء. وإن كان المتقدم فى كل واحدة من السورتين متضمنا ما يحصل به الاعتبار، مع ما فى المتقدم فى الأنعام من التفصيل والإطناب إلا أن المتقدم فى سورة الشعراء أوضح وأنصُّ من حيث التخويف؛ لعدم الاعتبار بالدلائل المنصوبة مشاهدة للمعتبرين؛ فلما لم يكن وضوح التنبيه فيما قبل آية الأنعام كوضوحه فى السورة الأخرى- بما انجر معه من التخويف المتكرر، وإنما المتقدم قبل قوله: (أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ) إيماء إلى الاعتبار بأحوال القرون السابقة وليس كالواقع قبل آية الشعراء -لم يرد ما بعده مما هو تنبيه مخوف معطوفا عليه إذ لا يناسبه (كفروا) المتقدم من شديد التخويف المنجر فيما بعده.

أما آية الشعراء فإن قوله تعالى قبلها: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ تحريك وتنبيه، ثم إن ما يتلوه من قوله تعالى: ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ وإن كان تسلية لنبينا - صلى الله عليه وسلم- فى طيه أعظم وعيد وتهديد لمن اعتبر ثم بعد ذلك قوله تعالى: ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ إلى ما بعده فهذا أوضح تنبيه بما صحبه من مخوف التهديد فعطف عليه قوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾... الآية وناسبه أوضح مناسبة.) (٨٥)

المثال الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ الأعراف: ٣٤

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يونس: ٤٩

يلحظ وصل آية الأعراف بالواو، ومجيء آية يونس من غير واو. وقد جاء في كلام الإمام البقاعي ما يكشف عن سر هذا الاختلاف. يقول في حديثه عن آية الأعراف:

(ولما تقدم أن الناس فريقان: مهتد وضال، وتكرر ذم الضال باجترائه على الله بفعل ما منعه منه وترك ما أمره به، وكانت العادة المستمرة للملوك أنهم لا يمهلون من تتكَرّرُ مخالفته لهم، كان كأنه قيل: فلم لا يهلك من يخالفه؟ فقيل وعظا وتحذيرا: إنهم لا يضرون بذلك إلا أنفسهم، ولا يفعلون شيئا منه إلا بإرادته، فسواءٌ عندهم بقاؤهم وهلاكهم، إنما يستعجل من يخاف الفوت أو يخشى الضرر، ولهم أجل لا بد من استيفائه، وليس ذلك خاصا بهم بل (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ مَسْجِدٍ وهو عطف على ﴿ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ ﴾ الأعراف: ٢٥)[٨٦]

وأما عن سر ترك العطف في الجملة الثانية فلأن قوله: (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ٱلْعُمْىَ وقعت موقع الاستئناف البياني من قوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ يونس: ٤٩ (فكأنه قيل: فما لك لا تدعوه بأن يشاء ذلك ويقدرك عليه؟ فقيل: لكل أمة أجل)[٨٧]

ومن هنا يتبين أن بين الجملتين كمال اتصال يمنع من وصل الجملتين بحرف العطف لقوة الاتصال بينهما.

المثال الثاني عشر: قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ الأعراف: ٥٩

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ هود: ٢٥ وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ المؤمنون: ٢٣، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ١٤

للسائل أن يسأل عن سر ترك الواو في آية الأعراف، وذكرها في السور الثلاث (هود، المؤمنون، العنكبوت)؟

ولعلّ السر يكمن في أن آية الأعراف لّما لم يتقدّمها حديث عن بعثة نبي أو قصة رسول؛ صارت كالأجنبية عما سبقها؛ لذا لم تعطف، واستؤنف ابتداء كلام على أنه في حكم المنقطع عن الأول(٨٨)

وإذا جئنا ننظر في الموضوعات التي تقدمت الآية فسنجد حديثا عن عجيب صنع الله في خلقه حيث قال: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ الأعراف: ٥٤ ثم ذكر الشمس والقمر، والرياح والأمطار، والنبات والسهل من الأرض والطيب، والحزن منها والصّلْد. وهي

موضوعات لا تتحدث عن بعثة نبي ولا رسالة رسول؛ لذا كان بين الموضوعين كمال انقطاع يمنع من وصل الجملتين بحرف العطف.

والقول بأن آية الأعراف بحكم الأجنبية عما قبلها لا يعنى هذا أنه لا مناسبة بينها وبين التي قبلها. فالمناسبة قائمة، وذكر قصة نوح –عليه السلام– عقب هذه الأمور له حكمة يدركها المتأمل لسياق الكلام.

قال أبو حيّان مستجليا وجه المناسبة: (لما ذكر في هذه السورة مبدأ الخلق الإنساني وهو آدم عليه السلام، وقصّ من أخباره ما قصّ،واستطرد من ذلك إلى المعاد ومصير أهل السعادة إلى الجنة، وأهل الشقاوة إلى النار،وأمره تعالى بترك الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، وكان من بعث إليهم رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أولا غير مستجيبين له، ولا مصدّقين لما جاء به عن اللّه؛ قصّ تعالى عليه أحوال الرّسل الذين كانوا قبله وأحوال من بعثوا إليه على سبيل التّسلية له صلى اللّه عليه وسلم والتأسي بهم، فبدأ بنوح) (٨٩)

وقال البقاعي: (ولما طال تهديده سبحانه لمن أصر على فساده، ولم يرجع عن غيّة وعناده بمثل مصارع الأولين ومهالك الماضين، ونّوع في هذه الآيات محاسن الدلالات على التوحيد والمعاد بوجوه ظاهرة وبينات قاهرة وبراهين قاطعة وحجج ساطعة؛ ساق سبحانه تلك القصص دليلاً حسياً على أن في الناس الخبيث والطيب)(٩٠)

كما بين صاحب المنار وجه المناسبة بقوله:(هَذَا سِيَاقٌ جَدِيدٌ فِي قَصَصِ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ الْمَشْهُورِ ذِكْرُهُمْ فِي الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالشُّعُوبِ الْمُجَاوِرَةِ لَهَا، قَدْ سَبَقَ التَّمْهِيدُ لَهُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ نِدَاءِ اللهِ تَعَالَى لِبَنِي آدَمَ بِقَوْلِهِ: (يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ) – إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ ٣٥ و٣٦ – وَمِنْهُ يُعْلَمُ وَجْهُ التَّنَاسُبِ وَاتِّصَالِ الْكَلَامِ) (٩١)

وأما مجيء الواو في آيتي هود والمؤمنون فيقول الإسكافي:

إن سورة هود من أولها افتتح إلى أن انتهى إلى قصة نوح بما هو احتاج على الكفار بآيات الله التي أظهرها على أيدي أنبيائه، وألسنتهم صلوات الله عليهم، وتوعد لهم على كفرهم، وذكر قصة من قصص من تقدمهم من الأنبياء الذين جحد بآياتهم أممهم، فعطفت هذه الآية على ما قبلها إذ كانت مثلها. ففي أول السورة قوله: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴾ هود: ١ – ٢ وبعد العشر منها قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴾ هود: ١٢

إلى قوله: ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝١٣ ﴾ هود: ١٣ ثم وصف حال من آمن بالله ورسله، وحال من كفر، وشبههما بحال من انطوى على ذكره في قوله: ﴿ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٤ ﴾ هود: ٢٤ فاقتضى تشابه القصتين عطف الثانية على الأولى[٩٢].

وأكّد البقاعي هذا المعنى بقوله: (وكان تقديم ذكر كتاب موسى[٩٣]. محركاً لتوقع ذكر نَبَئِه ونبأ غيره من الرسل، عُطِف – مقروناً بحرف التوقع على العامل الذي قدّرتُه في قوله: (ألا تعبدوا إلا الله)[٩٤] أو على قوله: (إنما أنت نذير) وهو أحسن وأقرب)[٩٥]

وقد مالَ صاحبُ المنار إلى الوجهِ الأول الذي ذكَرَه البقاعي، وهو أن يكون العطفُ على ما ذُكرَ في أول السورة من إرساله عليه وآله الصلاة والسلام بشيراً

ونذيراً، فقال: (قَالَ الْمُعْرِبُونَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: إِنَّ الْوَاوَ هُنَا لِلِابْتِدَاءِ، أَيْ لِأَنَّ مَعْنَى الْجُمْلَةِ لَا يَشْتَرِكُ مَعَ مَا قَبْلَهُ بِمَا يَصِحُّ جَعْلُهَا مَعْطُوفَةً عَلَيْهِ. وَأَقُولُ: إِنَّ هَذَا سِيَاقٌ جَدِيدٌ فِي السُّورَةِ، أَكَّدَ بِهِ مَا قَبْلَهُ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى أُصُولِ الدِّينِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْبَعْثِ وَالنُّبُوَّةِ، فَهُوَ يَشْتَرِكُ مَعَهُ فِي جُمْلَتِهِ لَا مَعَ آخِرِ آيَةٍ مِنْهُ، وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مَعْطُوفَةٌ عَلَى مَا فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ مِنْ ذِكْرِ بِعْثَةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِمِثْلِ مَا بُعِثَ بِهِ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَبَعْثِهِ نَذِيرًا وَبَشِيرًا، وَالْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ ؛ لِيَعْلَمَ قَوْمُهُ أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَيْسَ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ، وَأَنَّ حَالَهُ مَعَهُمْ كَحَالِ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - مَعَ أَقْوَامِهِمْ إِجْمَالًا وَتَفْصِيلًا، كَمَا قَالَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ الإسراء: ٧٧ فَكَأَنَّهُ قَالَ: لَقَدْ أَرْسَلْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ إِلَى قَوْمِكَ وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً بِمَا تَقَدَّمَ بَيَانُ أُصُولِهِ، وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ بِمِثْلِ مَا أَرْسَلْنَاكَ)[٩٦].

وفي كلام صاحب المنار لفتة طيبة إلى ضرورة النظر إلى سياق الكلام كله؛ ذلك أن العطف لا ينظر فيه إلى المجاور المباشر بل ينبغي النظر فيه إلى جملة الموضوعات المذكورة في السياق. فقد يكون العطف عطف قصة على قصة، أو موضوع على موضوع؛ وفي هذا إظهار للوحدة العضوية في السورة، كما يتجلى تلاحم أجزائها، وقوة ترابطها وإحكامها.

قال ابن عاشور في بيان نوع العطف هنا: (فالعطف عطف القصة على القصة وهي التي تسمى الواو الابتدائية) [٩٧].

وأما في سورة المؤمنون فإن قبل هذه الآية قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ المؤمنون: ١٢ ثم قوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ المؤمنون: ١٧، ثم انقطعت الآي إلى قوله: ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المؤمنون: ٢٢ والفلك التي يحمل عليها مما اتخذه نوح عليه السلام، فدخلت واو العطف في قصة نوح عليه السلام للفظين المتقدمين، وهما: (ولقد) في رؤوس الآيتين، وللمعنى المقتضى من ذكر الفلك الذي نجى الله عليه من جعله أصل الخلق وبذر هذا النسل(٩٨).

وأما آية العنكبوت فدخول الواو فيها لكونها معطوفة على قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ العنكبوت: ٣ من باب عطف الجملة على الجملة كما قال أبو حيان(٩٩)..فهذه الآية كالشرح والتوضيح للسابقة(١٠٠).

وبيان ذلك: أن سورة العنكبوت حديث عن الدعوة، وما يلاقيه الدعاة من المحن والابتلاءات والفَتْن عن الدين، وما طولب به الدعاة من الصبر على الهوان، والثبات على المبدأ؛ فجاء قوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت: ١٤

ذكراً لأحد الرسل الكرام ممن طال صبره، ولم يفتر عزمه عن نصيحة العباد مع ما لاقَوْه به من الأذى، تسلية وتثبيتا لكلّ داعية إلى الله، وتهديدا ووعيدا لأعدائهم.

قال الآلوسي: (**ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما** شروع في بيان افتتان الأنبياء عليهم السلام بأذية أممهم إثر بيان افتتان المؤمنين

بأذية الكفار تأكيدا للإنكار على الذين يحسبون أن يتركوا بمجرد الإيمان بلا ابتلاء، وحثا لهم على الصبر؛ فإن الأنبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما أصابهم من جهة أممهم من فنون المكاره وصبروا عليها؛ فلأن يصبر هؤلاء المؤمنون أولى وأحرى. والظاهر أن الواو للعطف. وهو من عطف القصة على القصة) [١٠١].

المثال الثالث عشر: قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ يونس: ٣٣

وقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦ ﴾ غافر: ٦

للسائل أن يسأل عن سر دخول الواو في آية غافر، وتركها في آية يونس؟ وللجواب عن ذلك نقول:

ذكر الإسكافي أن القصة بعد (كذلك) في يونس هي التي قبلها؛ فهي مرتبطة بها بعودها إليها، وبكاف التشبيه، فاستغنت بهذين الرابطين عن حرف العطف، هؤلاء الذين حقت عليه كلمة الله، أنهم لا يؤمنون، هم الذين خوطبوا بقوله: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ يونس: ٣١

وأما آية غافر: فإن المذكورين بعد (وكذلك) غير المذكورين قبلها، فقبلها قوله: ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ ﴾ غافر: ٥ هو خبر عن الذين كانوا قبل النبي. وما بعد قوله: **(وكذلك حقت)** وعيد لمن هو في عصره عليه الصلاة والسلام، فلما انقطع ما بعد كذلك عما قبلها احتاج إلى الواو، وما في سورة يونس لما لم ينقطع ما بعدها عما قبلها لم يحتج إليها[١٠٢].

وقال ابن الزبير: لما لم يتقدم في آية يونس مَقالُ من ذُكِرَ ممن حَقَّتْ عليه كلمة العذاب، أتى قولُه: (كذلك حَقَّتْ) في صورة الاستئناف غيرَ معطوفة؛ إذ لم يتقدم ما يُعْطَفُ عليه.

وأما آية غافر:فقد تقدمها ذكر لمن حقت عليه كلمة العذاب وذلك في قوله تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغُرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ ﴾ غافر: ٤ ثم أعقب بذكر قوم نوح والأحزاب وهمٍّ كلّ أمّة برسولها ليأخذوه؛ فأخذهم الله وأهلكهم بما حق عليهم؛فلما تقدمها ذكر مَن حقت عليه كلمة العذاب عطف عليه (وكذلك) (١٠٣).

فاتحاد الموضوع والقصة في يونس منع من دخول الواو؛ وذلك لأن العطف يقتضي التغاير وهو أمر يأباه السياق في سورة يونس.

ولّما كان الحديث في آية غافر متناولا لفئتين من الناس مشتركة في الكفر، متغايرة في الذات والزمن- الفئة الأولى: الأقوام قبل بعثة النبي- صلى الله عليه وسلم-. والفئة الثانية: المشركون في عهده عليه الصلاة والسلام- لّما كان الأمر كذلك وقع تغاير واشتراك فاقتضى الأمر العطف فيما يعرف عند علماء البلاغة بالتوسط بين الكمالين. قال الآلوسي: (وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أي: كما وجب حكمه تعالى بالإهلاك على هؤلاء المتحزبين على الأنبياء وجب حكمه سبحانه بالإهلاك على هؤلاء المتحزبين عليك أيضا وهم كفار قريش أنهم أصحاب النار)(١٠٤).

المثال الرابع عشر: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ النحل: ١٤

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فاطر: ١٢

يلحظ دخول الواو في آية النحل (ولتبتغوا)، وعدم دخولها في آية فاطر (لتبتغوا) ولبيان السر في هذا الاختلاف يقول الإسكافي: إن الذي حسّن العطف في آية النحل أمران:

الأول: أن المراد من آية النحل تعداد النعم؛ فلما قصد ذلك عطف بالواو ليناسب عطف بعضها على بعض؛ فقد تقدمها فعل يدل على تعدد النعم وهو قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾

الثاني:هو الفصل بالظرف (فيه) بين (مواخر) والفعل (لتبتغوا) مما منع تعلق الفعل بقوله (مواخر).

ويرى أن الداعي إلى ترك العطف في آية فاطر هو أن هذه الآية لم يتقدمها فعل بُنِيَتْ عليه دالٌّ على تعلقه بنِعَمٍ يجب أن ينسق بعضها على بعض كما في آية النحل؛ إذ تقدمها قوله: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾[١٠٥].

وقد أوضح ابن الزبير ما تقدم بقوله:(إنَّ آية النحل مبنية على قصد الاعتبار وتعداد النعم وقد اجتمع فى قوله تعالى: (وهو الذى سخر البحر) الآية، مجموع

الأمرين من الاعتبار وإبداء النعمة بتسخير البحر وأكل اللحم الطرى منه، واستخراج الحلية للباس، ومخر السفن إياه للمنافع والاكتساب، فهذه نعم جليلة، وفى كل منها مجال للاعتبار ومتسع للتفكر والنظر، فلما كان من مقصود هذه الآية تعداد النعم ناسب ذلك عطف بعضها على بعض؛ لأنه مظنة إطناب وتفصيل، فقيل: (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضله) (النحل: ١٤)، والمجرور متعلق بفعل التسخير، واستخراج الحلية، وجرى السفن والابتغاء من فضل الله.)

ويرى ابن الزبير أن علة ترك الواو في فاطر أن هذه السورة بنيت على(إبداء القدرة وجليل الحكمة ألا ترى قوله: (﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ فاطر: ١١، ثم قال: ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾فاطر: ١٢، فهذا مقصود به الاعتبار والتعريف بانفراده سبحانه بخلق ذلك إبداء للنعم وجليل الإحسان، ولكن مقصود الآية وبناءها على ما ذكرنا، ثم تجرد باقى الكلام للتعريف بالإنعام والامتنان فقال تعالى: ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ فاطر: ١٢ فتعلق المجرور الذى هو **(لتبتغوا)** باسم الفاعل المجموع. أي: سخره للابتغاء من فضله، فالابتغاء هنا منجرٌّ في طيِّ الكلام، والامتنانُ مقصود، ألا ترى أن مخر السفن كأنه ليس لشيء الا للابتغاء، فلما تعلقت اللام بمواخر من حيث تحمل اللفظ معنى الفعل لم يصحَّ دخول الواو، ولم يكن كآية النحل، فافترق القصدان، ولم يلائم كُلّاً من الموضعين إلا الوارد فيه) (١٠٦).

وخلاصة الأمر أنه عطف (ولتبتغوا) على (وتستخرجوا) ليكون من جملة النعم التي نشأت عن حكمة تسخير البحر، ولم يجعله علة لمخر الفلك كما جعل في سورة فاطر ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لأنها- سورة فاطر- لم تصدّر بمنة تسخير البحر بل في غرض آخر هو إبداء قدرة وجليل حكمته.

وقد ذَكَرَ نحواً من هذا التعليل ابنُ عاشور، فبيَّنَ أنَّه تُرِكَ العطفُ في آية فاطر لأنَّ الابتغاءَ عُلِّقَ بـ(مواخِر) إيقافاً على دقيق صنعِ الله تعالى في مخلوقاته، وفي آية النحل ذُكِرَ المَخَرُ في عِداد الامتنان لأن به تيسيرَ الأسفار، ثم فُصِلَ بين {مَوَاخِرَ} وعِلَّتِه بظرف {فِيهِ}، فصار ما يومِئُ إليه الظرفُ فصلا بغرض أُدْمِجَ إدماجاً، وهو الاستدلالُ على عظيم الصنع بطُفُوِّ الفلك على الماء، فلما أُريدَ الانتقالُ منه إلى غَرَضٍ آخر، وهو العَوْدُ إلى الامتنان بالمَخَرِ لنعمة التجارة في البحر، عُطِفَ المغايرُ في الغَرَض)[١٠٧].

المثال الخامس عشر:﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۬ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ الكهف: ٢٢

للسائل أن يسأل عن سرِّ دخول الواو في قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾، وخلوها من قوله:﴿ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾

اختلف العلماء في بيان حقيقة الواو الداخلة في قوله تعالى:﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾على أقوال كثيرة[١٠٨]. يقول الدكتور محمد الأمين الخضري بعد عرضه لأقوال العلماء في الواو الداخلة في قوله: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ومناقشته لها:

(يتبقّى بعد ذلك القول بأنها عاطفة وقوله:رابعهم-سادسهم، وصفا لثلاثة وخمسة، وهو ما أميل إليه؛لأنه يبرز سرّ العطف، ويحسُّ معه وقع الواو في الجملة الأخيرة)[١٠٩].

وذهب كثير من العلماء إلى أن دخول الواو في قوله تعالى:﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ قد آذن بأنّ الذين قالوا ذلك قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس، ولم يرجموا بالظن كما فعل غيرهم. والدليل على ذلك أن الله سبحانه وتعالى أتْبع القولين الأولَيْن بقوله:﴿ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾وأتْبع القول الثالث بقوله:﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ قال ابن عباس: حين وقعت الواو انقطعت العدة. أي: لم يبق عدة عادٍّ يلتفت إليها، وثبت أنهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع الثابت[١١٠]

ولذلك فإن عدم دخول الواو في الجملتين الأوليَيْن: ﴿ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾لأنّ قوله:(رابعهم كلبهم) وقوله: (سادسهم كلبهم) وقعت صفة لما قبلها؛ فبينها كمال اتصال. وأما دخول الواو في قوله تعالى:(سبعة وثامنهم كلبهم) فلأنها معطوفة إما على فعل مقدر معناه: صدقوا وثامنهم كلبهم. كما قال ابن جماعة[١١١] أو لأنها معطوفة على جملة اسمية محذوفة تفهم من السياق كما ذكر ذلك ابن الزبير[١١٢]

وقد كشف الدكتور الخضري عن سرٍّ وقوع الجملتين الأُوليَيْن صفة لما قبلهما، وعن وقوع الجملة الثالثة معطوفة على ما قبلها ننقله كاملا لأهميته فقال:

(إن الغرض من الوصف بقوله: (رابعهم كلبهم) يشير إلى أن هناك خلافا في الرأي بين جماعة يقولون: هم أربعة، فيردُّ عليهم فريق بأنهم ثلاثة رابعهم الكلب،

وإلا لما كان هناك داعٍ لإدخال الكلب في عددهم، وبالتالي يكون هناك من ادّعى أنهم ستة يخالفهم فريق آخر يزعم أنهم ليسوا ستة رجال بل هم خمسة سادسهم كلبهم، فالتنازع في قوله:(ثلاثة رابعهم كلبهم) بين فريقين يدعي أحدهما أنهم أربعة رجال، والآخر أنهم ثلاثة رابعهم الكلب. وفي قوله: (خمسة سادسهم كلبهم) بين فريقين يدعي أحدهما أنهم ستة رجال، والآخر أنهم خمسة رجال سادسهم الكلب. ثم جاء قوله تعالى: (سبعة وثامنهم كلبهم) بإثبات الواو كدليل على أنه رأي فريق يستند إلى علم ويقين في الإخبار عن أمرهم بما علم، وليس بردّ قول قائل إنهم ثمانية رجال كما كان في الجملتين السابقتين؛ فأشعرت الواو بأنهم الفريق الأدنى إلى الصواب الذي يجزم برأيه، ولا يجادل به، فليست الواو فيه مزيدة بين الصفة والموصوف، وإنما هي عاطفة لجملة على جملة؛ إيماء أنهم أخبروا بعدد الرجال جزما، ثم عطفوا عليه خبرا آخر على سبيل اليقين أيضا، وهو (وثامنهم كلبهم) فكأن الواو حين فصلت بينهم وبين كلبهم دلت على التميز والوضوح، وعدم الالتباس في عددهم، وهذا ما يوحي به قول أبي حيان: (فأخبروا أولا بسبعة رجال جزما، ثم أخبروا إخبارا ثانيا أن ثامنهم كلبهم)[١١٣] ولعل ما يسند زعمنا أن المذكور من عدد الفتية والذي وقع فيه الخلاف: ثلاثة، خمسة، سبعة، فلماذا كانت الأعداد وترا، ولم لا يكون الخلاف في شفع هذه الأعداد أيضا؟ ألذلك سبب منقول أو معقول؟ لم أجد أحدا علل ذلك. لكن على ما أزعمه يكون الخلاف قد استوعب الأعداد من ثلاثة إلى السبعة، وهو ما يلوح بالغرض من كثرة الاختلاف في حقيقة أمرهم، ولعل ذلك أيضا أقرب إلى قول ابن عباس حين دخلت الواو انقطعت العدة؛ فكأنه يريد أن الاختلاف وقع في الأعداد بدءا من الثلاثة إلى آخر المذكور من الأعداد)[١١٤]

المثال السادس عشر: قوله تعالى:﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الحج: ٣٤

وقوله تعالى:﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ ﴾ الحج: ٦٧

قال الإمام الزمخشري-رحمه الله-: (فإن قلت: لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت من هذه؟ قلت: لأنّ تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في أمر النّسائِك، فعطفت على أخواتها. وأما هذه فواقعة مع أباعد عن معناها فلم تجد معطفاً.) (١١٥)

وتوضيحا لما قاله الزمخشري في بيان علة الوصل والفصل في الآيتين الكريمتين يمكن القول:ذكرت الواو مع قوله:(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا يُشْرِكُ لأنها معطوفة على قوله سبحانه:﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ﴾ الحج: ٣٣. وإنما صحَّ العطف لوجود مناسبة واشتراك واتحاد في الموضوع المتحدَّث عنه وهو الحجُّ ومناسكه.فالآية مع الآيات قبلها حديث عن مناسك الحج وشعائره (ولّما كان التقدير: جعل لكم سبحانه هذه الأشياء مناسك عطف عليه ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾(١١٦)

وأمّا ترك الواو في قوله: (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا) فلأنه لم يتقدمها ما يناسبها؛ فوقعت مستأنفة استئنافا ابتدائيا. والمناسبة بينها وبين التي قبلها ظاهرة؛ لذا فصلت الجملة ولم تعطف كما قال ابن عاشور(١١٧)

وبين الرازي وجه المناسبة بين هذه الآية وما قبلها فقال: اعلم أنه تعالى لما قدم ذكر نعمه، وبين أنه رؤوف رحيم بعباده- وإن كان منهم من يكفر ولا يشكر- أتبعه

بذكر نعمه بما كلف فقال: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ وإنما حذف الواو هنا لأنه لا تعلق لهذا الكلام بما قبله [١١٨]. لأن الحديث من هذه الآية إلى آخر السورة عودٌ بعد ذكر المعاد إلى الوسط الذي هو حالة التكليف[١١٩].

وقال أبو السعود: (مستأنف جيء به لزجر معاصريه -صلى الله عليه و سلم- من أهل الأديان السماوية عن منازعته - صلى الله عليه و سلم- ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع وإظهار خطئهم في النظر. أي: لكل أمة معينة من الأمم الخالية والباقية جعلنا أي: وضعنا وعيّنا منسكا أي: شريعة خاصة لا لأمة أخرى منهم على معنى عيّنًا كل شريعة لأمة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها المعينة لها إلى شريعة أخرى لا استقلالا ولا اشتراكا)[١٢٠].

ورأى الإمام البقاعي-رحمه الله- أن سرَّ مجيء هذه الآية من غير عاطف لما بينها وبين التي قبلها من تمام الاتصال. وبيان ذلك: أنه لما تقدم ذكر المناسك، وكان لكثرة الكفار قد يقع في النفس أنّ إقامة هذه المناسك أمر معجوز عنه، أو فوق طاقة الإنسان كشف الله هذا الأمر بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الحج: ٣٨ وما بعدها فعلمنا بذلك أن قدرة الله باهرة، وعلمه شامل في إظهار دينه، وإقبال العباد إليه؛ فمن شكّ في ذلك أو نازع فيه فهو كفور. فذكر بإظهار أول هذا الخطاب: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ بآخِرِ ذلك الخطاب؛ مؤكدا لما أجاب به عن ذلك السؤال من تمام القدرة وشمول العلم أنه هو الذي مكّن لكلّ قوم ما هم فيه من المناسك التي بها انتظام الحياة، فإن وافقت أمرَ الله كانت سببا للحياة الأبدية، وإن خالفت أمر الله كانت سببا للهلاك الدائم.

وقد نصب الله من الشرائع لكل قوم ما يتلاءم مع زمانهم ومكانهم بما تقتضيه مصلحة الخلق؛ وذلك من كمال قدرته وعلمه سبحانه. فعلم أن منازعتهم في هذا الأمر كفر؛ فلذلك أتبع هذا قوله من غير عاطف لما بينهما من تمام الاتصال(لِكُلِّ أُمَّةٍ)[١٢١]

المثال السابع عشر: قوله تعالى:﴿ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ المؤمنون: ١٩

وقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ الزخرف: ٧٣

جاءت آية المؤمنون مشتملة على الواو في قوله﴿ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾، وخلت آية الزخرف من الواو في قوله ﴿مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ والسرُّ وراء هذا الاختلاف هو اختلاف المُتَحَدَّثِ عنه في الموضعين.

فالحديث في آية المؤمنون حديث عن جنات الدنيا وما أودع الله فيها من نعم كثيرة ينتفع بها الناس؛ ويدّل على ذلك قوله تعالى:﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُمْ بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ المؤمنون: ١٨ – ١٩

فلما كانت فواكه جنات الدنيا مما يتعدد الانتفاع بها بالأكل وغيرها؛عطف بالواو على محذوف يفهم من السياق. فكأنه قال: لكم فيها فواكه كثيرة منها تدخرون ومنها تأكلون، ومنها تبيعون، ومنها تعصرون وغير ذلك[١٢٢].

وأما آية الزخرف فهي حديث عن جنة الآخرة بدليل قوله تعالى قبل هذه الآية الكريمة: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا

تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ والفاكهة في جنة الآخرة منحصر الانتفاع بها في الأكل فحسب؛ إذ لا ادّخار ولا تجارة...؛ لذا لم يعطفها بالواو(١٢٣).

المثال الثامن عشر: قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ الشعراء: ١٥٣ – ١٥٤

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ الشعراء: ١٨٥ – ١٨٦

الآيتان الأوليان خطاب لصالح - عليه السلام- من قومه ويلحظ ترك العطف بين الجملتين في قولهم. وأما الآيتان الأخريان فهما خطاب لشعيب-عليه السلام- من قومه. ويلحظ أن الآية الثانية قد عطفت على سابقتها بالواو. وللسائل أن يسأل عن الفرق بين الموضعين؟

علّل الإسكافي هذا الاختلاف بقوله:إن قوم صالح لم يكن موقفهم من نبيّهم موقف مدين من شعيب –عيه السلام-؛ فقوم صالح لم يُغْلظوا لنبيهم القول ولا اقترحوا عليه آية، ولم يكثر خطابهم له ومدافعتهم إياه، فكان قولهم خبرا واحدا؛ لذا وقعت الجملة الثانية موقع البدل تأكيدا لما قبلها. فبين الجملتين كمال اتصال.

وأما قوم شعيب فقد وقع منهم غلظ على شعيب وشطط ومبالغة، واقتراح ما اشتهَوْه من الآيات؛ فلما كان خطاب قوم شعيب له أكثر من الحاصل من قوم صالح ناسب إكثارهم في الجواب وذلك بذكر العاطف.فهم بذكر حرف العطف اتهموه بجملة من الأمور منها: أولا:﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ وثانيا:﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ وثالثا: ﴿ وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ فهي ثلاثة أخبار(١٢٤).

ومما يؤكد ما ذهب إليه الإسكافي ومن وافقه، ما عبر عنه البقاعي-رحمه الله-في بيان سر اختلاف الموضعين إذ يقول عن الموضع الأول:

ولما دعا إلى الله تعالى بما لا خلل فيه، فعلموا أنهم عاجزون عن الطعن في شيء منه، عدلوا إلى التخييل على عقول الضعفاء بأن ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ أي: الذين بولغ في سحرهم مرة بعد مرة مع كونهم آدميين ذوي سحور، وهي الرئات، فأثر فيك السحر حتى غلب عليك؛ وقيل معناها: من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب، يقال: سحره أي: عللـه بالطعام والشراب.ويؤيده خصوصيتك عنا بالرسالة، وهل يكون الرسول من البشر، وإتباعهم الوصف من غير عطف عليه يدل على أنهم غير جازمين بتكذيبه. فالوصفان عندهم بمنزلة شيء واحد كما إذا قيل: الزمان حلو حامض، أي: مر، ويؤيد كونهم في رتبة الشك لم يتجاوزها إلى الجزم أو الظن بالتكذيب قولهم: (فأت بآية) أي: علامة تدلنا على صدقك (إن كنت) أي: كوناً هو غاية الرسوخ(من الصادقين) أي: العريقين في الصدق بخلاف ما يأتي قريباً في قصة شعيب عليه السلام.(١٢٥)

وقال في الموضع الثاني: (ولما كان الحاصل مّما مضى الإعلام بالرسالة، والتحذير من المخالفة، لأنها تؤدي إلى الضلالة إلى أن ختم ذلك بالإشارة بالتعبير بالجبلة إلى أن عذابه تعالى عظيم، لا يستعصي عليه صغير ولا كبير، أجابوه بالقدح في الرسالة أولاً، وباستصغار الوعيد ثانياً، ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴾ أي: الذين كُرِّرَ سحرهم مرة بعد أخرى حتى اختبلوا، فصار كلامهم على غير نظام، أو من المعللين بالطعام والشراب كما مضى في صالح عليه السلام، أي: فأنت بعيد من الصلاحية للرسالة: ثم أشاروا إلى عدم صلاحية البشر مطلقاً لها ولو كانوا أعقل الناس وأبعدهم

عن الآفة بقولهم - عاطفين بالواو إشارة إلى عراقته فيما وصفوه به من جهة السِّحْر والسَّحَر، وأنه لا فرق بينه وبينهم -: ﴿ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ أي: فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك. والدليل على أن عطف ذلك أبلغ من إتباعه من غير عطف جزمهم بظنٍّ كذبه في قولهم: (وَإِنإِنَّمَآ أي: وإنّا ﴿ نَظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ أي: العريقين في الكذب.) (١٢٦)

وذهب الدكتور فضل حسن عباس- رحمه الله- إلى أن الفرق في الفصل والوصل بين الموضعين سببه اختلاف معنى كلمة (ٱلْمُسَحَّرِينَ) فالمسحّرين في قصة صالح مقصود بها: الذين لهم رئات يأكلون ويشربون. يقولون: ما نراك إلا ذا رئة؛ تأكل وتشرب، وهذا وصف له بالبشرية؛ لهذا جاء عقبه: (مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) من غير عاطف؛ذلك أن هذه الجملة جاءت تأكيدا لما قبلها.

وأما المقصود بـ(ٱلْمُسَحَّرِينَ) قي قصة شعيب فهم المسحورون من (السِّحْر)، وهذا يختلف معناه عن معنى الجملة التي بعدها، وهي أنه بشر؛ لذا وصلت الثانية بالأولى؛ لأن لكلٍّ منهما معنى. (١٢٧)

وهذا الذي ذُكِر آنفا هو ما ألمح إليه الإمام الزمخشري-رحمه الله – بقوله: (فإن قلت: هل اختلف المعنى بإدخال الواو ههنا وتركها في قصة ثمود؟ قلت: إذا أدخلت الواو فقد قصد معنيان: كلاهما مناف للرسالة عندهم: التسحير والبشرية، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ولا يجوز أن يكون بشراً، وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً، ثم قرر بكونه بشراً مثلهم) (١٢٨)

المثال التاسع عشر: قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الروم: ٩

وقولـه تعـالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ﴾ غافر: ٢١

وقوله تعـالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ غافر: ٨٢

وقولـه تعـالى: ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ فاطر: ٤٤

للسائل أن يسأل عن سر ترك الواو في الآيات الثلاث المتقدمة، وذكرها في الآية الرابعة؟

وللجواب عن ذلك بين الإسكافي – رحمه الله – أن قولـه: (كَانُوٓا۟ أَشَدَّ وَلَٰكِنَّ مستأنفة استئنافا بيانيا؛لأن التقدير لما قال:(كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَلَٰكِنَّ صار كأن سائلا سأل فقال: كيف كانوا وبماذا عوملوا؟ فجاء قوله: (كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) مجيء الجواب المتضمن لأفعالهم، ثم ذكر بعده ما تضـمن الجـزاء علـى أعمـالهم؛ وإذا كـان كذلك لم يحتج إلى الواو كما احتاج إليها في سورة فاطر؛ لأنهـا-أي:فـاطر- تضـمُّ مـا بعدها إلى ما قبلها كأنه قال: فينظـروا كيـف أُذلّـوا وكـانوا أعـزَّ مـنكم عـزة، وكيـف

أضعفوا وكانوا أشدّ منكم قوة، أي: لَحقهم ذلك في حال متناهية بهم من أحوال الدنيا فأُبدلوا بحالهم غيرَها، فكان وجه الكلام هاهنا الواو، إذ لم يكن في ابتداء خبرٍ تنسق عليه أخبار يخبر بها عن الكفار كما كان في الآية الأولى[١٢٩]

وتوضيحا لما ذكره الإسكافي فقد ذكر المفسرون أن جملة (كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ) وقعت تفسيرا للتشبيه، وبيانا لوجه الشبه بين المخاطبين ومن قبلهم؛ فهي بيان لجملة (كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ) والجملة على هذا لا محلّ لها من الإعراب، وفيه إيذان بأن المخاطبين أولى وأحقُّ بأن يصيبهم ما أصابهم. [١٣٠]

وأما قوله تعالى: (وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ فَنَبالواو فهي في موضع الحال[١٣١] والتقدير: أي كان عاقبتهم الاضمحلال مع أنهم أشد قوة من هؤلاء فيكون استئصال هؤلاء أقرب.

وجيء بهذا الحال في هذه الآية لما يفيد موقع الحال من استحضار صورة تلك القوة إيثارا للإيجاز لاقتراب ختم السورة؛ ولذلك لم يؤت في نظائرها بجملة الحال ولكن أتى فيها بجملة وصف في قوله:

(ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ) لا، وقوله: (ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ) حيث أوثر فيها الإطناب بتعداد بعض مظاهر تلك القوة[١٣٢] .

وعليه فإنه لما اختلف المقصد في كلّ سورة اختلفت فيها طريقة التعبير، وهذا ما ألمح إليه أبو حيان وابن عادل بقولهما: (كانوا أشد منهم قوة، استئناف إخبار بما كانوا عليه، وهنا (وكانوا)، أي: وقد كانوا، فالجملة حال، فهما مقصدان) [١٣٣] وعبارة ابن عادل: (فالمقصدان مختلفان) [١٣٤]

وللإمام الرازي-رحمه الله- تعليل لطيف لحذف الواو وذكرها في الآيات الكريمات، يقول متسائلا عن الفرق بين ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ وقوله: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: (فما الفرق؟ نقول قول القائل:أما رأيت زيداً كيف أكرمني هو أعظم منك؟ يفيد أن القائل يخبره بأن زيداً أعظم. وإذا قال: أما رأيته كيف أكرمني وهو أعظم منك؟ يفيد أنه تقرر أن كلا المعنيين حاصل عند السامع، كأنه رآه أكرمه ورآه أكبر منه. ولا شك أن هذه العبارة الأخيرة تفيد كون الأمر الثاني في الظهور مثل الأول بحيث لا يحتاج إلى إعلام من المتكلم ولا إخبار.

إذا علمت هذا؛ فنقول: المذكور ههنا –فاطر-كونهم أشد منهم قوة لا غير. ولعل ذلك كان ظاهراً عندهم؛ فقال بالواو. أي: نظركم كما يقع على عاقبة أمرهم يقع على قوتهم. وأما هناك-الروم- فالمذكور أشياء كثيرة فإنه قال: ﴿كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَلَكِنَّ﴾ وفي موضع آخر ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ولعل علمهم لم يحصل بإثارتهم الأرض أو بكثرتهم ولكن نفس القوة ورجحانهم فيما عليهم كان معلوماً عندهم فإن كلَّ طائفة تعتقد فيمن تقدمهم أنهم أقوى منهم ولا نزاع فيه) (١٣٥)

المثال العشرون: قوله تعالى:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الزمر: ٧١

وقوله تعالى:﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ الزمر: ٧٣

للسائل أن يسأل عن الفرق بين قوله: (فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) بدون واو حديثا عن أهل النار، وبين قوله: (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَمَن بالواو حديثا عن أهل الجنة؟ وللجواب عن ذلك نقول:

اتفقت كلمة العلماء على أن قوله: (فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) بدون واو هي جواب شرط (إِذَا جَآءُوهَا وَمَن وفي هذا دلالة على أن أبواب جهنم كانت مغلقة لا تفتح إلا إذا جاؤوها كسائر أبواب السجون؛ فإنها لا تزال مغلقة حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يسجنون فيها فيفتح لهم ثم يغلق عليهم(١٣٦).

كما يلحظ في مجيء (فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) جوابا للشرط معنى المباغتة وترك المهلة، وفي هذا نوع من الإهانة والذلة والخزي للكافرين. يقول ابن قيّم الجوزية-رحمه الله-: (فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها، وأبوابها مغلقة، حتى إذا وصلوا إليها فتحت في وجوههم، فيفجؤهم العذاب بغتة فحين انتهوا إليها فتحت أبوابها بلا مهلة. فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط: أن يكون عقيبه. والنار دار الإهانة والخزي، فلم يستأذن لهم في دخولها، ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول) (١٣٧)

وأما الموضع الثاني وهو قوله: (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَمَن فقد اختلفت أنظار العلماء في معنى هذه الواو، كما اختلفوا في تحديد جواب الشرط تبعا لاختلافهم في معنى الواو.

وقد لخّص ابن القيم هذه الأقوال وناقشها، نعرضها على النحو الآتي:

القول الأول: إنها واو الثمانية. دخلت في أبواب الجنة لكونها ثمانية، وأبواب النار سبعة، فلم تدخلها الواو. وهذا قول ضعيف لا دليل عليه، ولا تعرفه العرب، ولا أئمة العربية. وإنما هو من استنباط بعض المتأخرين.

القول الثاني:إن الواو زائدة. وجواب الشرط قوله: (فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) وهذا أيضا ضعيف. فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم، ولا يليق بأسفه الكلام أن يكون فيه حرف زائد لغير معنى ولا فائدة.

القول الثالث: الجواب محذوف. وقوله: (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَمَن عطف على قوله: (جاؤُها) وهذا اختيار أبي عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم. قال المبرد: وحذف الجواب أبلغ عند أهل العلم.وقال أبو الفتح ابن جنّي: وأصحابنا يدفعون زيادة الواو، ولا يجيزونه، ويرون أن الجواب محذوف للعلم به [١٣٨].

وهناك من العلماء[١٣٩] من قال إن الواو هنا للحال[١٤٠]

ويقول ابن الزبير: (فإن قيل: فما جواب إذا؟ قلت: الجواب - والله أعلم - مقدّرٌ بعد، يفسره المعنى، كأن قد قيل: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين أنسوا وأمنوا أو ما يرجع إلى هذا المعنى ويحرزه) [١٤١]

وأما عن سرّ دخول الواو مع أهل الجنة، وحذف الجواب في السياق فيقول الآلوسي:

وفتحت أبوابها والواو للحال والجملة حالية بتقدير قد على المشهور. أي: جاؤوها وقد فتحت أبوابها كقوله تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴾ ص: ٥٠ ويشعر ذلك بتقدم الفتح كأنّ خزنة الجنات فتحوا أبوابها ووقفوا منتظرين لهم؛ وهذا كما تفتح الخدم باب المنزل للمدعو للضيافة قبل قدومه وتقف منتظرة له، وفي ذلك من الاحترام والإكرام ما فيه. والظاهر أن قوله تعالى: (**وقال لهم خزنتها**) الخ عطف على فتحت أبوابها، وجواب إذا محذوف مقدر بعد خالدين للإيذان بأن لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحيط به نطاق العبارات. كأنه قيل: إذا جاؤوها مفتحة لهم

أبوابها (وقال لهم خزنتها سلام عليكم). أي: من جميع المكاره والآلام (طبتم) أي: من دنس المعاصي وقيل: طبتم نفسا بما أتيح لكم من النعيم المقيم. (فادخلوها خالدين) أي: مقدرين الخلود كان ما كان مما يقصر عنه البيان أو فازوا بما لا يعد ولا يحصى من التكريم والتعظيم.[١٤٢]

ومن هنا ندرك أن الواو المذكورة أدّت رسالة ما كان لها أن تظهر لو جعلت الواو زائدة، وهي إظهار كرامة المؤمنين وحسن ثوابهم.كما أن حذف الواو في الموضع الأول أدّى رسالة ما كان يؤديها ذكرها وهي بيان مهانة وخزي الكافرين فسبحان من أنزل كتابه معجز المباني متمكن المعاني.

المثال الحادي والعشرون: ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ق: ٢٢ – ٢٣

وقال تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ ق: ٢٦ – ٢٧

للسائل أن يسأل عن سرّ دخول الواو في قوله تعالى (وَقَالَ قَرِينُهُ نَفْسُهُ)، وحذفها في الثاني حيث قال: (قَالَ قَرِينُهُ)، والجواب أن يقال:

إن الخطاب في الآية الأولى- على الخلاف في معنى القرين[١٤٣]- هو خطاب للإنسان من قرينه متصل بكلامه. وأما الآية الثانية فإن الخطاب فيها ليس للإنسان، وإنما الخطاب فيها من القرين لله-سبحانه وتعالى (رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ نَفْسُهُ) وليس ما بعدها خطاب له كذلك؛ فلما كان الأمر كذلك قطعها واستؤنفت.

فلما لم يكن الإنسان هو القائل المخاطِب ولا المقول له المخاطَب صار كأنه مستأنف؛ وأجريت الآيات بعده -التي هي جواب الكلام- هذا المجرى وهي: (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ...، فلما لم يكن في واحدة منهما واو عاطفة، كانت الأخرى كذلك[١٤٤].

وفرّق الإمام الزمخشري بين الموضعين فقال:

(فإن قلت: لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على الأولى؟ قلت: لأنها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون. فإن قلت: فأين التقاول هاهنا؟ قلت: لما قال قرينه: (هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ) وتبعه قوله:(قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) وتلاه: (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ): علم أنّ ثمَّ مقاولة من الكافر، لكنها طرحت لما يدل عليها، كأنه قال: رب هو أطغاني، فقال قرينه: ربنا ما أطغيته. وأمّا الجملة الأولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول، أعني مجيء كل نفس مع الملكين: وقول قرينه ما قال له.) [١٤٥]

ندرك مما سبق أن عدم ذكر الواو في الجملة الثانية لأنها واقعة مع الجملة التي قبلها موقع الاستئناف البياني في الأسلوب المتبع في حكاية المقاولات في القرآن الكريم، وهو أسلوب الفصل دون عطف فعل القول على شيء[١٤٦] فبعد انقضاء كلام الأول كأن سائلا يسأل: فماذا قال الآخر؟فيقول: قال كذا وكذا. فيكون بين الجملتين شبه كمال اتصال كما يقول البلاغيون وهو ضرب من ضروب الإيجاز.

وأما مجيء الجملة الأولى موصولة بالواو؛ لأنها أرادت أن تجمع بين معناها ومعنى ما قبلها في الحصول. أي: في ذلك الوقت يحصلُ مجيءُ كلّ نفس مع المَلَكَيْنِ، ويحصلُ قولُ القرين للإنسان كذا وكذا.

المثال الثاني والعشرون: قوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ الطور: ٢٤

وقوله: ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ الإنسان: ١٩

وقوله تعالى: ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ الواقعة: ١٧

للمتدبر أن يسأل عن سرّ دخول الواو في آيتي الطور والإنسان، وعن تركها في آية الواقعة؟

وللإجابة عن هذا يمكن القول:أما دخول الواو في آية الطور فلكونها معطوفة على قوله: ﴿ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴾ الطور: ٢٣ فهو من تمامه وواقع موقع الحال مثله(١٤٧)؛ فهو من عطف حال على حال.وعليه يكون المعنى: أمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون حال كونهم متجاذبين في الجنة كأسا، وحال كونهم يطوف عليهم غلمان.

وإذا جعلنا (وَيَطُوفُ آصْلَوْهَا معطوفا على (وَأَمْدَدْنَاهُم آصْلَوْهَا فيكون من باب عطف الجملة على الجملة إخبارا بتعدد العطاءات، وتنوع النعم؛ فهو قد أمدّهم بفاكهة ولحم وجعل لهم غلمانا يطوفون عليهم زيادة في إكرامهم حال كونهم يتنازعون كأسا. والذي يقوّي هذا المعنى عطف (وَأَمْدَدْنَاهُم آصْلَوْهَا على ما سبق مما يدخله في باب تعدد النعم.

وأما آية الإنسان (وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿٦﴾ فهو معطوف على قوله: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴾ الإنسان: ١٥ لبيان أن هذا طواف آخر غير طواف

السّقاة المذكور آنفا بقوله: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ فهذا طواف لأداء الخدمة فيشمل طواف السقاة وغيرهم(١٤٨).

وأما آية الواقعة: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ بدون الواو؛ فلأنها واقعة موقع الحال من قوله: ﴿مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ الواقعة: ١٦ ويمتنع دخول الواو مع الجملة الواقعة حالا إذا كان فعلها مضارعا غير منفي(١٤٩). ويمكن أن تكون الجملة مستأنفة. على تقدير: متكئين عليها متقابلين يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون(١٥٠).

ونضمُّ إلى الآيات السابقة آياتٍ أخرى جاءت في السياق نفسه. وهي:

قوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ الصافات: ٤٥

وقوله تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ الزخرف: ٧١

وقوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا﴾ الإنسان: ١٥

فقد جاءت آيتا الصافات والزخرف بدون واو، بينما عطفت آية الإنسان بالواو، ولا بدّ من فرق بينها نحاول أن نتلمّسه في سياقاتها فنقول:

أما مجيء آية الصافات بدون واو فلأنها واقعة موقع الاستئناف، فبعد أن بين الله صفة المأكل والملبس ذكر بعده صفة الشراب فقال: يُطاف(١٥١).على عادة القرآن في تقديم الأكل على الشرب حيث اجتمعا. وقد جعلها السمين صفة لـ(مكرمون) أي: هم مكرمون مُطَاف عليهم(١٥٢).وعلى هذا الرأي يمتنع العطف لأن الصفة لا تعطف على الموصوف فهما كالشيء الواحد.

ويمكن حمل قوله: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمُ الْيَوْمَ﴾ على الحال من الضمير في (متقابلين) وعلى هذا الرأي يمتنع دخول الواو؛ لأن الجملة الحالية فعلها مضارع غير منفي.

وأما آية الزخرف فتحمل على الاستئناف وعليه يكون (في الكلام حذف يعرف من السياق. يقال لهم: ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون، فإذا ما دخلوها واستقروا فيها يطاف عليهم) (١٥٣)

وأما مجيء آية الإنسان بالواو ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ﴾ فقد كشف ابن عاشور –رحمه الله– عن سرّ ذلك فقال: ﴿وَيُطَافُ﴾ عطف على جملة ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ والذي اقتضى العطف التناسب بين جملة ﴿يَشْرَبُونَ﴾ وجملة ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ في الفعلية والمضارعية، وذلك من أحسن أحوال الوصل. ثم عاد الكلام إلى صفة مجالس شرابهم. وهذه الجملة ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم﴾ بيان لما أجمل في جملة ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ الإنسان: ٥ وإنما عطف عليها لما فيها من مغايرة مع الجملة المعطوف عليها من صفة آنية الشراب فلهذه المناسبة أعقب ذكر مجالس أهل الجنة ومتكآتهم، بذكر ما يستتبعه مما تعارفه أهل الدنيا من أحوال أهل البذخ والترف واللذات بشرب الخمر إذ يدير عليهم آنية الخمر سقاة(١٥٤).

المثال الثالث والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الحشر: ٦

وقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الحشر: ٧

يلحظ أن الآية الأولى جاءت مشتملة على الواو، بينما خلت الآية الثانية منها، ولبيان سر ترك الواو في الآية الثانية يقول الإمام الزمخشري: (لم يدخل العاطف على هذه الجملة: لأنها بيان للأولى، فهي منها غير أجنبية عنها. بين لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما يصنع بما أفاء الله عليه، وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوماً على الأقسام الخمسة) (١٥٥).

وأوضح الشهاب الخفاجي عبارة الإمام الزمخشري قائلا: (وقوله: بيان للأوّل أي لقوله: (وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ) السابق، ولكونه بيانا له لم يعطف عليه لشدّة الاتصال بينهما كما تقرّر في المعاني فلا حاجة إلى جعله معطوفا عليه بترك العاطف كما قيل؛ لأنه مخالف للقياس. لا يرتكب مثله من غير ضرورة داعية له.) (١٥٦)

وهذا الذي عبّر عنه الشهاب الخفاجي بشدة الاتصال بين الآيتين هو ما يعرف بالاستئناف البياني. قال الآلوسي: (وظاهره أن الجملة استئناف بياني) (١٥٧). فقال مستأنفا جوابا لمن كأنه قال: هل يعمُّ هذا الحكمُ كلَّ فيء يكون بعد بني النضير (١٥٨).

وقد ذكر ابن عاشور أن قوله تعالى: (مَّآ أَفَآءَ يُشَآقِّ بدون واو، إما أن تكون مستأنفة استئنافا ابتدائيا، أو مستأنفة استئنافا بيانيا مرتبا على كل قول حكما فقهيا، قال:

جمهور العلماء جعلوا هذه الآية ابتداء كلام، أي:على الاستئناف الابتدائي، وأنها قصد منها حكم غير الحكم الذي تضمنته الآية التي قبلها. ومن هؤلاء مالك وهو قول الحنفية؛فجعلوا مضمون الآية التي قبلها أموال بني النضير خاصة، وجعلوا الآية الثانية إخبارا عن حكم الأفياء التي حصلت عند فتح قرى أخرى بعد غزوة بني النضير.كفُريضة وفَدَك فعينته هذه الآية للأصناف المذكورة فيها، ولا حَقَّ في ذلك لأهل الجيش.

ومن العلماء من جعل هذه الآية تكلمة وبيانا للآية التي قبلها، أي: بيانا للإجمال الواقع في قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ لأن الآية التي قبلها اقتصرت على الإعلام بأن أهل الجيش لا حقّ لهم فيه، ولم تبين مستحقه وأشعر قوله:﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ **أنه** مال لله تعالى يضعه حيث يشاء على يد رسوله صلى الله عليه وسلم فقد بين الله له مستحقيه من غير أهل الجيش. فموقع هذه الآية من التي قبلها موقع عطف البيان. ولذلك فصلت.وممن قال بهذا الشافعي وعليه جرى تفسير صاحب الكشاف(١٥٩)

وأما مجيء الواو مع الآية الأولى: فلأنها إما أن تكون معطوفة:

١. على جملة ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ فتكون امتنانا وتكملة لمصارف أموال بني النضير.

٢. على مجموع ما تقدّم عطف القصة على القصة، والغرض على الغرض؛ للانتقال إلى التعريف بأموال بني النضير، لئلا يختلف المسلمون في قسمته، ولبيان أن ما فعله النبي- صلى الله عليه وسلم-في قسمة أموال بني النضير هو العدل(١٦٠).

المثال الرابع والعشرون:قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرٗا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارٗا ٥﴾ التحريم: ٥

والسؤال هنا عن سرّ ترك العطف بين الصفات الست المتقدمة، والعطف بين الصفتين الأخيرتين؟

يقول الإمام الزمخشري جوابا عن ذلك: (فإن قلت: لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار؟ قلت: لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات، فلم يكن بُدٌّ من الواو.) (١٦١)

وأوضح الآلوسي -رحمه الله- ما رمى إليه الزمخشري بقوله:

(وترك العطف في الصفات السابقة؛ لأنها صفات تجتمع في شيء واحد وبينها شدة اتصال يقتضي ترك العطف. ووسّط العاطف هنا للدلالة على تغاير الصفتين وعدم اجتماعهما في ذات واحدة ولم يؤت بـ(أو) قيل: ليكون المعنى أزواجا بعضُهنّ ثيبات وبعضُهنّ أبكار. وقريب مما قيل: وسط العاطف بين الصفتين لأنهما في حكم صفة واحدة إذ المعنى مشتملات على الثيبات والأبكار) (١٦٢)

المثال الخامس والعشرون: قوله تعالى:﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ نوح: ٢١

وقوله تعالى:﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ ﴾ نوح: ٢٦

جاءت الآية الأولى من سورة نوح- عليه السلام- بدون واو (قَالَ نُوحٌ وَبَنِينَ؛ وذلك لأن هذه الجملة إما أن تكون:

١. بدلا من جملة ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ بدل اشتمال ؛لأن حكاية عصيان قومه إياه مما اشتملت عليه حكاية أنه دعاهم في وقت واحد، جاء فيه نوح إلى مناجاة ربه بالجواب عن أمره له بقوله:﴿ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ نوح: ١ وعليه تكون إعادة الفعل (قال) من قبيل ذكر عامل المبدل منه في البدل كقوله تعالى: ﴿ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ﴾ المائدة: ١١٤ للربط بين كلاميه لطول الفصل بينهما.

ويحتمل أن تكون المقالتان في وقتين جمعها القرآن حكاية لجوابيه لربه، فتكون إعادة فعل (قال)لما ذكرنا مع الإشارة إلى تباعد ما بين القولين.

٢. مستأنفة استئنافا بيانيا؛ لأن ما سبقها من قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي ﴾ إلى هنا مما يثير عجبا في حال قومه المحكي بحيث يتساءل السامع عن آخر أمرهم، فابتدئ ذكر ذلك بهذه الجملة وما بعدها إلى قوله: (أَنْصَارًا). وتأخير هذا بعد قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ ارتقاء في التذمر منهم لأن هذا حكاية حصول عصيانهم بعد تقديم الموعظة إليهم بقوله ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ نوح: ١١ إلى قوله: ﴿ سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ نوح: ٢٠.(١٦٣)

وعلى كلا القولين فإنه يمتنع دخول الواو مع هذه الجملة؛ لأن بينها وبين ما قبلها كمال اتصال على القول بأنها بدل اشتمال من قوله: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴾ أو شبه كمال اتصال على القول بأنها استئناف بياني.

وأما دخول الواو مع الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ فلأنها معطوفة على قوله: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي ﴾ أعقبه بالدعاء عليهم بالإهلاك والاستئصال بأن لا يبقي منهم أحدا، أي لا تبق منهم أحدا على الأرض. وأعيد فعل (قال) لوقوع الفصل بين أقوال نوح بجملة ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾ نوح: ٢٥، أو بها وبجملة ﴿ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ نوح: ٢٤ وقرنت بواو العطف لتكون مستقلة فلا تتبع جملة {إِنَّهُمْ عَصَوْنِي} للإشارة إلى أن دعوة نوح حصلت بعد شكايته بقوله: ﴿ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا ﴾ (١٦٤)

وبتمام الحديث عن هذا الموضع ينتهي هذا المبحث الذي خُصِّصَ لاستقراءُ جميعِ المواضع التي جاءتْ في كتب المتشابه اللفظي، ووردَ فيها فصلٌ ووصل، وقد بَلَغَتْ خمسةً وعشرين موضعاً. والحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ، ففي ختام هذه الرحلة العظيمة في رحاب الآيات الكريمة استجلاء لأسرارها، وإبرازا لمواضع الجمال فيها، نوردُ هنا أهمَّ النتائج التي توصَّلَتْ إليها هذه الدراسة:

أولاً: يُعَدُّ موضوع الفصل والوصل من أدقِّ موضوعات علم البلاغة وأعمقِها؛ لما يحتاج الناظر فيه من إدامة النظر، وإطالة الوقوف أمام النصوص للكشف عن سر فصلها ووصلها. وهو في المواطن المتشابهة يحتاج إلى جهد أكبر منه في غيره.

ثانياً: يُعَدُّ السياق الركيزة الأساسية في الكشف عن أسرار الفصل والوصل في الآيات المتشابهة.

ثالثاً: إنَّ لحروف العطف في القرآن رسالةً كبيرة، وأثراً عظيماً في إثراء المعاني القرآنية، ومن أهمِّ هذه الحروف الواو.

رابعاً: إن علل الفصل والوصل في متشابه النظم القرآني تتزاحم ولا تتعارض؛ وهذا مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني.

خامساً: إنَّ لموضوع الفصل والوصل أثراً في اختلاف العلماء في استنباط الأحكام الفقهية.

سادساً: تُعَدُّ الدراسات التطبيقية لعلوم البلاغة على الآيات القرآنية من أنفع الوسائل لفهمها وتقريبها لطلبة العلم.

سابعاً: لقد كان للمفسرين وعلماء المتشابه اللفظي على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم جهد مشكور في الكشف عن أسرار الفصل والوصل في الآيات المتشابهة.

ثامناً: لا وجود لقضية التكرار في كتاب الله عزّ وجل؛ فقد تبيّن أن كلّ موضع جاء لبيان مقصد، وتحقيق غاية، وهذا أمر يتنافى مع القول بالتكرار.

والحمد لله رب العالمين

هوامش البحث

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الفكر،١٩٧٩م.(فصل) ج٥، ص٥٠٥-٥٠٦.

(٢) المرجع السابق، (وصل) ج٦،ص١١٥.

(٣) ينظر، المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٢م، ص١٩٣.

(٤) منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم،منشأة المعارف بالإسكندرية،ط٢، ٣١

(٥) العاكوب عيسى، والشتيوي علي، الكافي في علوم البلاغة العربية، منشورات الجامعة المفتوحة،١٩٩٣م، ص٢٩٨.

(٦) وهذا مذهب عبد القاهر الجرجاني وكثير من المتقدمين،وذهب السكاكي وكثير من المتأخرين إلى جريان الفصل والوصل في غير الواو من حروف العطف. ينظر: الصعيدي، عبد المتعال، البلاغة العالية(علم المعاني)، راجعه، عبد القادر حسين،مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٩٩١م، ص١٠٤.

(٧) الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر،مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة،ط٣، ١٩٩٢م،ص٢٢٤.

(٨) منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم،ص١٩١.

(٩) الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني،ص٢٢٢

(١٠) المرجع السابق، ص٢٣١.

(١١) ينظر، المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة،ص١٩٣.

(١٢) فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)،دار الفرقان، الأردن، ط١١، ٢٠٠٧م، ص٤٠٦

(١٣) الميداني، حسن حبنكه،البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية،ط١، ١٩٩٦م بيروت، ج١، ص٥٥١.

(١٤) منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم،ص ١٩٣.

(١٥) الميداني، حسن حبنكه،البلاغة العربية، ج١،ص٥٥١.

(١٦) منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم،ص ١٦٤-١٦٦، وينظر: القزويني جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م، ص١٤٨-١٦٠. والميداني، حسن حبنكه،البلاغة العربية ج١،ص٥٩٥. وفضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص٤٢٠-٤٤٤.

(١٧) ينظر: الكرماني محمود بن حمزة، البرهان في متشابه القرآن،تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٨٦م، ص٢٣، وابن جماعة، بدر الدين،كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق:عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٩٠م، ص٨٨، والزركشي بدر الدبن، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١ ج٣،ص٢١٧.

(١٨) بيّن ابن عاشور أنّ البدل هنا هو بدل اشتمال. وفي موضع البقرة ذكر أنه يمكن أن يكون بدل بعض من كل. ينظر: ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير،مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠م،ج١٢، ص٢٢٤. و: ج١،ص ٤٧٦.

(١٩) ينظر: الخطيب الإسكافي،درة التنزيل وغرة التأويل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط٤، ١٩٨١م،ص١٣-١٤

(٢٠) ينظر: المرجع السابق،ص١٣-١٤.والشهاب الخفاجي: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي (الْمُسَمَّاة) عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى، دار صادر، بيروت، ج٢، ص١٥٨.

(٢١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل،تحقيق: سعيد فلاح،دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٣م. ج١،ص٢٠١.

(٢٢) أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ج٥، ص٣٤

(٢٣) ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل، ج١،ص٢٠٢.

(٢٤) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ج١٦،ص ٥٢٤.

(٢٥) الزمخشري، أبو القاسم، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٢، ص٥٠٨.

(٢٦) ينظر: أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج١، ص٣١٣.

(٢٧) ينظر: فضل حسن عباس، لطائف المنان وروائع البيان في نفي الزيادة والحذف في القرآن، دار النفائس، الأردن، ط١، ٢٠١٠م،ص٧٩-٨٤.

(٢٨) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٢، ص٢٢٥.

(٢٩) ينظر: الكرماني، البرهان في متشابه القرآن، ص٢٩. وانظر: الأنصاري، زكريا، فتح الرحمن فيما يلتبس من القرآن،تحقيق: محمد علي الصابوني،دار القرآن الكريم، بيروت،ط١، ١٩٨٣م ص٢٧.، وابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١،ص٤٩٩. وج٨،ص٣٢٦

(٣٠) ينظر: ابن الزبير الغرناطي،ج١،ص٢٠٨.

(٣١) ينظر: البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسق الآيات والسور،تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م، ج١، ص١٤٢.

(٣٢) الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج٣، ص٨٧.

(٣٣) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢،ص١٦٠

(٣٤) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج٣،ص٢٨٣.

(٣٥) القمّي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان،تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج١، ص٢٩٦.

(٣٦) هذه قراءةُ نافع، وهي القراءة التي يضبِطُ عليها ابنُ عاشور النصَّ القرآني؛ شأنُه في ذلك شأنُ المغاربة، ثم يشيرُ إلى القراءات الأخرى.

(٣٧) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٨،ص ٣٢٦، وينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٢،ص١٦٠

(٣٨) ينظر:ابن جماعة،،كشف المعاني في المتشابه من المثاني،ص ٩٦-٩٧.

(٣٩) أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ج١، ص٣٦٢.

(٤٠) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م، ج٩، ص٣١٤.

(٤١) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي الضباع،المطبعة التجارية الكبرى، ج٢،ص٢٢٠.

(٤٢) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج١، ص٥٨١.

(٤٣) ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج٢،ص٢٢٠.

(٤٤) ينظر أبو حيان، البحر المحيط، ج١،ص٥٨١..

(٤٥) الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن،، ج٣، ص٢١٢

(٤٦) ينظر: الفارسي، أبوعلي، الحجة للقراء السبعة، ج٢،ص٢٠٢-٢٠٣.

(٤٧) البقاعي، نظم الدرر، ج١، ص٢٨٨.

(٤٨) ينظر: الشيخ زاده محي الدين، حاشية الشيخ زاده على البيضاوي، ضبط وتصحيح: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ج٢، ص٢٤٩

(٤٩) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١١،ص١٣٣.

(٥٠) ينظر: المرجع السابق ج١١،ص١٣٠.

(٥١) ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ج٢، ص١١٠-١١١.

(٥٢) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣،ص١٠٤

(٥٣) السمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، ج٢، ص١١٠.

(٥٤) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج٢، ص٩٤.

(٥٥) السمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، ج٢، ص١١١.وانظر: أبو حيان، البحر المحيط:ج٣، ١٦٩

(٥٦) أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص١٦٩.

(٥٧) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو: (وأَنَّ) بفتح الهمزة. وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: (وإِنَّ) بكسر الهمزة.

ينظر: الفارسي، أبو علي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق:بدر الدين قهوجي، بشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق،ط١٩٩٢،١م، ج٥،ص٢٠٢. وينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج٢، ص٣١٨.

(٥٨) ينظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم،ج٥،ص٢٦٥،

(٥٩) ينظر: المرجع السابق،،ج٥،ص٢٦٥، والآلوسي شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج١٦،ص٩٢.

(٦٠) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل،ج١، ص٣٠٦-٣٠٨.

(٦١) ينظر: الشثري، صالح بن عبد الله، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية، منشورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة،١٤٢٥هـ، ص٤٧٣.

(٦٢) يمتنع دخول الواو مع الجملة الحالية إذا كان فعلها فعلا مضارعا غير منفي، وما جاء مقترنا بالواو فهو شاذٌ لا يقاس عليه.ينظر:فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)، ص٤٤٨-٤٤٩.

(٦٣) ينظر: الكرماني، البرهان في متشابه القرآن، ص٤٨. وينظر: ابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص ١٣١-١٣٢.

(٦٤) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٥، ص١٠٧. وينظر: البقاعي: نظم الدرر، ج٢،ص١٢٩

(٦٥) الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل،ص٧٣.

(٦٦) ينظر: الكرماني، البرهان في متشابه القرآن، ص٤٩

(٦٧) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل،ص٧٤.

(٦٨) ينظر: ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل،ج١، ص٣٢١. وينظر: ابن جماعة، كشف المعاني في متشابه المثاني،ص١٣٤.

(٦٩) ينظر: المرجع السابق

(٧٠) ينظر: السامرائي، فاضل، لمسات بيانية في السور القرآنية، (سورة آل عمران) ص٦١، على موقع =http://www.islamiyyat.com/remository.html?func=startdown&id٩٢

(٧١) ينظر: الكرماني، البرهان في متشابه القرآن، ص٥١

(٧٢) ينظر: القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج٣،ص٥٣٤

(٧٣) البقاعي، نظم الدرر، ج٢، ص٢٢٥.

(٧٤) ينظر: الكرماني، البرهان في متشابه القرآن،ص٥٤-٥٥.

(٧٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤،ص٢٦٢.

(٧٦) البقاعي، نظم الدرر، ج٢،ص٣٢٥-٣٢٦

(٧٧) البقاعي، نظم الدرر، ج٢،ص٣٢٦، وينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٣، ص٣٧٦.

(٧٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٤،ص ٣٤٠.

(٧٩) البقاعي، نظم الدرر، ج٢،ص٣٨٠

(٨٠) وردت هذه الصيغة في خمسة مواضع هي: الأنعام (٦)، الأعراف(١٤٨)، النحل(٧٩)، النمل(٨٦)، يس(٣١).

(٨١) وردت هذه الصيغة في اثني عشر موضعا هي: الرعد(٤١)، النحل(٤٨)، الإسراء(٩٩)، الشعراء(٧)،العنكبوت(١٩، ٦٧)، الروم(٣٧)، السجدة(٢٧)،يس(٧١)، فصلت(١٥)، الأحقاف(٣٣)، الملك(١٩).

(٨٢) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل،ص١٠٩.

(٨٣) ينظر: الكرماني، البرهان في متشابه القرآن،ص٦٠، وابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه المثاني: ص١٥٥.

(٨٤) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل،ص١١٠.

(٨٥) ابن الزبير، ملاك التأويل،ج١،ص٤١٤-٤١٥.

(٨٦) البقاعي، نظم الدرر، ج٣،ص٢٨.

(٨٧) البقاعي، نظم الدرر، ج٣،ص٤٥٠

(٨٨) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل،ص١٤٩.

(٨٩) أبو حيان، البحر المحيط، ج٥،ص٨١

(٩٠) البقاعي، نظم الدرر، ج٣، ص٤٦.

(٩١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج٨،ص ٤٣٦.

(٩٢) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل،ص١٥٠. وينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج٥، ص١٩٤-١٩٥

(٩٣) وذلك في قوله تعالى: (أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) هود: ١٧

(٩٤) قدَّرَ البقاعيُّ قبلَ قوله تعالى في أول السورة {ألا تعبدوا إلا الله} (هود/ ٢) عاملاً، وهو (أرسلناك به –أي القرآن– قائلاً: ألا تعبدوا إلا الله) (انظر البقاعي، نظم الدرر، ج٣،

ص٤٩٩)، ويرى أنَّ الفعلَ (أرسلنا) في قوله تعالى: {ولقد أرسلنا نوحاً...} (هود/ ٢٥) يمكنُ أن يكونَ معطوفاً على ذلك العامل الذي قدَّرَه في أول السورة (أرسلْناك).

(٩٥) البقاعي، نظم الدرر، ج٣، ص٥١٩

(٩٦) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج١٢، ص٥١.

(٩٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج١١،ص٢٣٧.

(٩٨) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل،ص١٥٠.

(٩٩) أبو حيان، البحر المحيط،ج٨،ص٣٤٦.

(١٠٠) البقاعي، نظم الدرر،ج٥،ص٥٤٢.

(١٠١) الآلوسي، روح المعاني، ج٢٠، ص١٤٢.

(١٠٢) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل،ص٢١٠-٢١١.

(١٠٣) ينظر: ابن الزبير، ملاك التأويل،ج١،ص٦١٧-٦١٨، وينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج٦، ص٤٨٦-٤٨٧.

(١٠٤) الآلوسي، روح المعاني، ج٢٤، ص٤٤

(١٠٥) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل،ص٢٦٠-٢٦١.

(١٠٦) ينظر: ابن الزبير، ملاك التأويل،ج٢،ص٧٣٦.

(١٠٧) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢،ص١٣٧.

(١٠٨) من هذه الأقوال ما يستحق المناقشة، ومنها المتهافت الذي لا يستحق الوقوف عنده مثل القول بالزيادة غير المفيدة، والقول بأنها واو الثمانية...ويمكن بلورة هذه الآراء وتصنيف الواو معها إلى أنواع ثلاثة: واو العطف، واو الحال، والواو الزائدة. =ولا تخرج الآراء المذكورة عن هذه الأنواع وإن اختلفت في كيفية تعليلها والفائدة منها.وقد عرض الدكتور محمد الأمين الخضري لمجموع الآراء وناقشها =وبين المختار منها. ينظر: الخضري، محمد الأمين، الإعجاز في نسق القرآن، (دراسة للفصل والوصل بين المفردات)، مكتبة زهراء

الشرق، القاهرة،ط٢٠٠٢،١م، ص١٢٢-١٣٩. ونحن في هذه الدراسة لن نعرض لهذه الآراء، ولا لمناقشتها، وإنما غايتنا كشف سر دخول الواو وحذفها في الآية الكريمة.

(١٠٩) المرجع السابق، ص١٣٤.

(١١٠) ينظر: ابن الزبير، ملاك التأويل،ج٢،ص٧٨٠. والإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل:ص٢٧٩-٢٨٠.

(١١١) وابن جماعة، كشف المعاني في متشابه المثاني،ص٢٣٨.

(١١٢) ابن الزبير، ملاك التأويل،ج٢،ص٧٧٩.

(١١٣) أبو حيان، البحر المحيط، ج٧،ص٤٣٤.

(١١٤) الخضري، محمد الأمين، الإعجاز في نسق القرآن، ص١٣٦-١٣٧.

(١١٥) الزمخشري، الكشاف، ج٣،ص١٧١

(١١٦) البقاعي، نظم الدرر، ج٥،ص١٥١.

(١١٧) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج١٧،ص ٢٣٦.

(١١٨) ينظر:الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ج٢٣،ص٥٦

(١١٩) ينظر: القمي النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج٥، ص٩٩.

(١٢٠) أبو السعود، إرشاد العقل السليم،ج٦،ص١١٨.

(١٢١) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج٥،ص١٧٢-١٧٣.

(١٢٢) ومثل هذا الآية الكريمة حديثا عن الأنعام قوله تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ النحل: ٥ وقوله: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ المؤمنون: ٢١ وقوله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ غافر: ٧٩ فالانتفاع بالأنعام ليس منحصرا بالأكل فحسب، وإنما لها منافع أخرى، بدلالة أن كلّ آية من الآيات المذكورة قد ذكرت شيئا مما ينتفع به من الأنعام غير التي ذكرته الأخرى؛ مما يدل على تعدد منافعها.

(١٢٣) ينظر: الكرماني، البرهان في متشابه القرآن، ص١٣٤. وينظر: القمي النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج٥، ص١١٤.

(١٢٤) ينظر: الخطيب الإسكافي: درو التنزيل وغرة التأويل: ص٣٣٤ وينظر: الكرماني، البرهان في متشابه القرآن، ص١٤١، وابن جماعة، كشف المعني في متشابه المثاني، ص٢٨٢.

(١٢٥) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج٥،ص٣٨١-٣٨٢. بحذف يسير

(١٢٦) ينظر: البقاعي، نظم الدرر، ج٥،ص٣٨٨.

(١٢٧) ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)، ص٤٤٤.

(١٢٨) الزمخشري، الكشاف،ج٣،ص٣٣٨.

(١٢٩) الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل،ص٣٦٦-٣٧٧. بحذف يسير، وابن جماعة، كشف المعاني عن متشابه المثاني:ص٢٩٤.

(١٣٠) ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج١٠،ص١٣٤.

(١٣١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٩، ص٤٣. الآلوسي، روح المعاني، ج٢٢،ص٢٠٧.

(١٣٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٢،ص١٨٨.

(١٣٣) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ج٩، ص٤٣.

(١٣٤) ينظر: ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٨م، ج١٦،ص١٥٩.

(١٣٥) الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ج٢٦،ص٣٢-٣٣.

(١٣٦) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل:ص٤٠٩-٤١٠. وينظر: أبو حيان، البحر المحيط،ج٩، ص٢٢٤.

(١٣٧) ابن قيّم الجوزية، التفسير القيّم، جمعه: محمد أويس الندوي، حققه:محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت،ص٤٢٥

(١٣٨) ابن قيّم الجوزية، التفسير القيّم،ص٤٢٤ -٤٢٥.

(١٣٩) ينظر: ابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه المثاني،ص٣١٦، والبقاعي، نظم الدرر، ج٦، ص٤٧٩. والآلوسي، روح المعاني،ج٢٤،ص٣٤.

(١٤٠) وكونها للحال لا يتعارض مع القول بأن الواو عاطفة؛ إذ (تسميتنا لها واو الحال لا يخرجها عن أن تكون مجتلبة لضم جملة إلى جملة. ونظيرُها في هذا الفاءُ في جوابِ الشرطِ نحوُ: إن تأتِني فأنتَ مُكْرَم فإنها وإنْ لم تكن عاطفةً فإن ذلك لا يُخرجُها مِنْ أن تكونَ بمنزلة العاطفة في أنها جاءتْ لتربطَ جملةً ليس مِنْ شأنِها أن ترتبطَ بنفسِها فاعرفْ ذلك) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز،تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة،ط٣، ١٩٩٢م، ص٢١٤.

(١٤١) ابن الزبير، ملاك التأويل،ج٢،ص٩٩٥.

(١٤٢) الآلوسي، روح المعاني،ج٢٤،ص٣٤.بحذف يسير.

(١٤٣) قال جماعة من المفسرين: { قرينه } من زبانية جهنم، أي قال هذا العذاب الذي لدي لهذا الإنسان الكافر حاضر عتيد، ففي هذا تحريض على الكافر واستعجال به. وقال قتادة وابن زيد: { قرينه } الملك الموكل بسوقه، فكأنه قال: هذا الكافر الذي جعل إلى سوقه، فهو لدي حاضر. وقال الزهراوي وقيل: { قرينه } شيطانه. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٥،ص١٦٣. والسيوطي،جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور،دار الفكر، بيروت،١٩٩٣، ج٧،ص٦٠٠.

(١٤٤) ينظر: الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل،ص٤٤٨، الكرماني، البرهان في متشابه القرآن، ص١٧٧.، ابن الزبير، ملاك التأويل، ج٢، ص١٠٢٩-١٠٣٠. وابن جماعة، كشف المعاني في المتشابه المثاني،ص ٣٤٣.

(١٤٥) الزمخشري، الكشاف، ج٤،ص٣٩١-٣٩٢.

(١٤٦) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٦، ص٢٦٠-٢٦١.

(١٤٧) المرجع السابق،ج٢٧،ص٦٧

(١٤٨) المرجع السابق،ج٢٩،ص٣٦٨

(١٤٩) ينظر: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني) ص٤٤٨.

(١٥٠) ينظر: الآلوسي، روح المعاني،ج٢٧،ص١٣٦.

(١٥١) ينظر: الرازي التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)،ج٢٦،ص١١٩.

(١٥٢) ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،ج٥،ص٥٠٠

(١٥٣) طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجالة،القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ج١٣،ص٩٩

(١٥٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٩،ص٣٦٢-٣٦٣.

(١٥٥) الزمخشري، الكشاف،ج٤،ص٥٠٢

(١٥٦) الشهاب الخفاجي، حاشية الشهاب على البيضاوي،ج٨،ص١٧٧.

(١٥٧) الآلوسي، روح المعاني،ج٢٨،ص٤٨.

(١٥٨) البقاعي، نظم الدرر،ج٧،ص٥٢٠-٥٢١

(١٥٩) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٨،ص٧٢-٧٣.وينظر: الزمخشري، الكشاف، ج٤،ص٥٠٢

(١٦٠) المرجع السابق،ج٢٨،ص٧٠.

(١٦١) الزمخشري، الكشاف، ج٤،ص٥٧١-٥٧٢.

(١٦٢) الآلوسي، روح المعاني،ج٢٨،ص١٥٦.

(١٦٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٩،ص١٩٩.

(١٦٤) المرجع السابق،ج٢٩،ص١٩٨.

قائمة المصادر والمراجع

١. الآلوسي شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢. الأنصاري، زكريا، فتح الرحمن فيما يلتبس من القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني،دار القرآن الكريم، بيروت،ط١، ١٩٨٣م

٣. البقاعي برهان الدين، نظم الدرر في تناسق الآيات والسور،تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٤. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز،تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط٣، ١٩٩٢م

٥. ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي الضباع،المطبعة التجارية الكبرى

٦. ابن جماعة، بدر الدين،كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق:عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٩٠م

٧. أبو حيان محمد بن يوسف، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ

٨. الخضري، محمد الأمين، الإعجاز في نسق القرآن، (دراسة للفصل والوصل بين المفردات)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،ط١، ٢٠٠٢م.

٩. الخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط٤، ١٩٨١م.

١٠. الرازي، فخر الدين، التفسير الكبير(مفاتيح الغيب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م

١١. ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق: سعيد فلاح،دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٨٣م.

١٢. الزركشي بدر الدبن، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبـو الفضـل إبـراهيم، دار المعرفـة، بيروت، ١٣٩١.

١٣. الزمخشري، أبو القاسم، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيـق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت

١٤. السامرائي، فاضل، لمسات بيانية في السور القرآنية،(سورة آل عمران) ص٦١، على موقع **٩٢**http://www.islamiyyat.com/remository.html?func=startdown&id

١٥. أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايـا القـرآن الكـريم، دار إحيـاء التراث العربي – بيروت

١٦. السمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتـاب المكنـون، تحقيـق: علـي معـوض وآخـرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٤م

١٧. الشثري، صالح بن عبد الله، المتشابه اللفظي في القرآن الكـريم وأسـراره البلاغيـة، منشـورات مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة،١٤٢٥هـ

١٨. الشهاب الخفاجي: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَـاوِي (الْمُسَـمَّاة) عِنَايـةُ القَاضِـى وكِفَايـةُ الرَّاضِي، دار صادر، بيروت

١٩. الشيخ زاده محي الدين، حاشية الشيخ زاده على البيضاوي، ضبط وتصحيح: محمد عبد القـادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م

٢٠. الصعيدي، عبد المتعال، البلاغة العالية(علم المعاني)، راجعه، عبد القادر حسين،مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٩٩١م

٢١. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيـق: أحمـد محمـد شـاكر، محمـود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.

٢٢. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، الفجالة،القاهرة، ط١، ١٩٩٨م

٢٣. ابن عادل الحنبلي، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٨م

٢٤. ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٥. العاكوب عيسى، الشتيوي علي، الكافي في علوم البلاغة العربية، منشورات الجامعة المفتوحة،١٩٩٣م
٢٦. ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز،تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ
٢٧. السيوطي،جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور،دار الفكر، بيروت،١٩٩٣
٢٨. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الفكر،١٩٧٩م
٢٩. الفارسي، أبو علي، الحجة للقراء السبعة، تحقيق:بدر الدين قهوجي، بشير حويجاتي، دار المأمون للتراث، دمشق،ط١٩٩٢،١م
٣٠. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها (علم المعاني)،دار الفرقان، الأردن، ط١١، ٢٠٠٧م
٣١. فضل حسن عباس، لطائف المنان وروائع البيان في نفي الزيادة والحذف في القرآن، دار النفائس، الأردن، ط١، ٢٠١٠م
٣٢. القزويني جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٤، ١٩٩٨م
٣٣. القمّي النيسابوري،غرائب القرآن ورغائب الفرقان،تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٦م،
٣٤. ابن قيّم الجوزية، التفسير القيّم، جمعه: محمد أويس الندوي، حققه:محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت
٣٥. الكرماني محمود بن حمزة، البرهان في متشابه القرآن،تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٨٦م
٣٦. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠م
٣٧. المراغي، أحمد مصطفى، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت،ط٤، ٢٠٠٢م.
٣٨. منير سلطان، الفصل والوصل في القرآن الكريم،منشأة المعارف بالإسكندرية،ط٢
٣٩. الميداني، حسن حبنكه،البلاغة العربية، دار القلم، دمشق، الدار الشامية،ط١، ١٩٩٦م بيروت